جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

"الآخر" في الفكر الغربي

مركزية الذات، وتنامي مفهوم الاستعلاء وانحدار الغيرية

الدكتور

عادل حمدي عباس أحمد

مدرس العقيدة والفلسفة في قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية - جامعة الأزهر بالقاهرة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

{الآخر} في الفكر الغربي
مركزية الذات، وتنامي مفهوم الاستعلاء، وانحدار الغيرية

عادل حمدي عباس
مدرس العقيدة والفلسفة، في قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية، جامعة الأزهر بالقاهرة
الإيميل الالكتروني: adelhamdyomar1212@gmail.com

ملخص البحث

تقوم هذه الدراسة علي بيان وإجلاء مفهوم {**الآخر**} في ثقافة وفكر المجتمعات الغربية،وما يستتبع ذلك من معتقدات وآليات للتعامل مع هذا الآخر؛ والتي أصبحت راسخة ومتأصلة في الوجدان الغربي؛ مثل: مركزية الذات، الأنا الغربية، الاستعلاء، الخوف من الآخر...

تناولت في المقدمة: أسباب اختيار الموضوع، ونبذة مختصرة عنه، ومنهجية البحث، ومحتوياته؛ بإيجاز.

وجاء **الفصل الأول** لدراسة التمركز الغربي حول الذات، ومحاولة تغريب الآخر، ونفي وازدراء الثقافات والأفكار والحضارات الموسومة بنعوت غير غربية، وبيان أسباب ذلك، مع تأصيل ذاتية الغرب ومركزيته بالتميز العرقي.

كما تناولت في **الفصل الثاني:** استمرارية {**الأنا**} لدي الغرب وأصالتها التاريخية، مع الحب الشديد لتلك الأنا والتمسك بمطالبها، والمحاولات المستمرة عبر التاريخ الغربي {**قديماً وحديثاً**} للتقليل من شأن الآخرين؛ وانتقاص منتجاتهم الفكرية والثقافية والفلسفية؛ بل وتشويهها في كثير من جوانبها، وخاصة ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، مع بيان مدي التأثير الفلسفي علي الغرب في تشكيل منظومته عن {**الأنا والآخر**}.

ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها، فضلا عن أهم التوصيات والمقترحات، بالإضافة لقائمتي المراجع والموضوعات.

وقد قمت بإعداد هذا البحث مستخدماً بعض المناهج العلمية المعتمدة؛ كمنهج الاستقراء والتحليل والمقارنة والنقد؛ ملتزماً بالأمانة العلمية؛ ... سائلاً الله (ﷻ) القبول والنفع...

وصل اللهم وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه

الكلمات المفتاحية: الآخر ــ الأنا ــ المركزية ــ الاستعلاء ــ الذات ــ الغيرية.

The Other in Western Thought
Egocentrism, the growing concept of superiority, and the decline of altruism.

Adel Hamdi Abbas

Teacher of Creed and Philosophy, Department of Islamic Studies - Faculty of Education, Al-Azhar University in Cairo

E mail: adelhamdyomar1212@gmail.com

Abstract

This study explains the concept of "the Other" in the culture and thought of Western societies, and the ensuing beliefs and mechanisms for dealing with this other; Which has become well-established and rooted in the Western conscience; Such as: egocentrism, western ego, arrogance, fear of the other.

In the introduction, I dealt with: the reasons for choosing the topic, a brief summary of it, the research methodology, and its contents; Briefly.

The first chapter came to study the Western self-centeredness, the attempt to alienate the other, and the denial and contempt of cultures, ideas and civilizations marked with non-Western epithets, and an explanation of the reasons for this, with the rooting of the West's subjectivity and its centrality with ethnic distinction.

It also dealt in the second chapter: the continuity of the "ego" in the West and its historical authenticity, with the strong love for that ego and adherence to its demands, and the continuous attempts throughout Western history (both old and new) to belittle others; detracting from their intellectual, cultural and philosophical products; Rather, distorting it in many of its aspects, especially what is related

to Islam and Muslims, with an explanation of the extent of the philosophical influence on the West in forming its system of "I and the other."

Then the research concluded with the most important findings, as well as the most important recommendations and suggestions, in addition to the lists of references and topics.

I have prepared this research using some approved scientific methods; as a method of induction, analysis, comparison and criticism; committed to scientific integrity;...asking God Almighty for acceptance and benefit.

May God's peace and blessings be upon our master Muhammad and his family and companions.

Keywords: The Other - The Ego - The Centrality - The Arrogance - The Self - The Altruism.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، حمدًا يليق بجلاله وكماله وعزته وكبريائه، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد: فثمة أمور قد استقرت في الوجدان الغربي وتأصلت عبر تاريخه حتى صارت جزءًا لا يتجزأ من التكوين الأساسي للشخصية الغربية، ومن أهم تلك الأمور وأخطرها أثرًا هي فكرة الغرب عن "**الآخر**"، حيث كوَّن الغرب – وعبر تاريخه العتيق – فلسفته عن "**الآخر**"، والتي بنى عليها سياساته ومعاملاته المختلفة معه.

فقد التقى الغرب بالشرق "**الآخر**" – قديمًا ووسيطًا وحديثًا – وتعامل وتفاعل معه سياسيًا، واقتصاديًا، وعسكريًا، وأخلاقيًا، وثقافيًا، وماديًا،... إلخ بناءً على الخلفية الثقافية المكونة لفكرة "**الآخر**" عنده، ومنطلقًا في كل قراراته وتصرفاته المتعلقة بهذا "**الآخر**" من تلك الفكرة.

ولست مبالغًا إن قلت إن المعتقد الغربي عن "**الآخر**" وما بُني عليه من سياسات مختلفة، يُعد العامل الأهم والرئيس في تشكيل المنظومة السياسية والاقتصادية والأخلاقية والدينية في العالم بشكل كبير، بل إن المعتقد الغربي عن "**الآخر**" قد كان ولا زال مصاحبًا لذلك التيار العدواني الغربي، والذي تجلى في أبشع صوره – قديمًا – في الحروب الصليبية على "**الآخر**" الشرقي

الإسلامي، والتي استمرت قرابة القرنين من الزمان، كان شعارها "إبادة **الآخر**" واستحقاق أرضه وممتلكاته!

وحديثًا ممثلا في الصورة الاستعمارية القاتمة، والتي ألقت بظلالها على "الآخر" سالبة أرضه وثرواته وموارده، بل وحاولت سلبه تاريخه وحضارته ودينه وأخلاقه!

ولا زلنا حتى الآن نتجرع مرارة نتائج وتأثيرات ذلك المعتقد الغربي عن "**الآخر**" في مجمل علاقتنا بالغرب، خاصة ومع بزوغ عصر التقدم المذهل في العلوم والتكنولوجيا الحديثة، والتي أثرت تأثيرًا بالغًا في تنامي مفهوم "**الآخر**" لدى الغرب، والعمل على دعم واستقرار "**مركزيته**" المزعومة، وتضخم "**الذات الغربية**" بشكل كبير.

لقد ركز الغرب وعبر تاريخه على تعميق وتوسيع الفجوة بينه وبين "**الآخر**" ومعاداته، وخاصة ذلك "**الآخر**" الشرقي الذي يقطن بلاد العرب ويدين بالإسلام خوفًا وطمعًا:

- خوفًا من انتشار عقيدته الصحيحة، وعودة حضارته العتيقة، ورجوعه مرة أخرى متوشحًا السيادة والريادة، ومتقلدًا مكانته التي تليق بنبل أخلاقه وشرف تاريخه.

- وطمعًا في تشويه صورته، ونهب ممتلكاته وثرواته، وفرض الهيمنة والسيطرة.

ولا زال الغرب يعمل جاهدًا على ترسيخ مفهوم "**الآخر**" معتمدًا على تميزه التاريخي والعرقي المزعوم، ومتخذًا كل الوسائل المتاحة من أجل إعلاء ذاتيته ومركزيته في مقابل نبذ واحتقار "**الآخر**" وتشويه صورته، ونفي حضارته، واعتبار مجمل ثقافته كمًا مهملًا على هامش الحضارة الغربية.

وكل ذلك من أجل تبرير سياساته ومطامعه ومصالحه، وتطهير يديه من تلك

الفظائع والبشاعات التي ارتكبها عبر تاريخه، ولا زال.

وانطلاقًا من تلك **الأهمية** لفكرة "**الآخر**" عند الغرب، آثرت بحث ودراسة هذا الموضوع وتجليته من جميع جوانبه.

أسباب اختيار الموضوع:

- ما ذكرته آنفًا من الأهمية القصوى لهذا الموضوع.

- أن معتقد وفلسفة "**الآخر**" عند الغربيين كان ولا زال هو الباعث الحقيقي والفعال لكل الممارسات والسياسات في تلك العلاقات القائمة - قديمًا وحديثًا - بين الشرق والغرب.

- أن الغالبية من أبناء الشعوب الغربية قد ورثوا هذا المعتقد عن "**الآخر**" دون نقد أو تحليل أو نظر في مدى صحته أو خطئه، مما يُحتم علينا بيان هذه الرؤية المضللة، وإظهار وسائل وآليات تشويه "**الآخر**" وخاصة هذا الآخر المتمثل في **(الإسلام والمسلمين)**.

- وأيضًا فإن الكثير من أبناء الشرق وأبناء الإسلام قد تأثروا سلبًا من تنامي أساليب التضخيم للذاتية الغربية وحضارتها وعلومها، وازدراء الآخر الشرقي، وتحقير حضارته، وتشويه ثقافته ومعتقداته وأخلاقه.

- أن بحث ودراسة الأفكار المغلوطة والمشوهة تاريخيًا وآنيًا وبيان زيفها وتهافتها لأبناء الشرق والغرب على السواء، يؤثر تأثيرًا بالغًا في تضييق الفجوة الخلافية والعدائية بين الشرق والغرب، ونبذ تلك العلاقات القائمة على العنصرية والعرقية، وبث روح الأخوة الإنسانية والمساواة بين أبناء الجنس البشري عامة، دون تمييز للون أو عرق.

منهجية البحث:

استخدمت في هذه الدراسة عدة مناهج بحثية:

- المنهج الاستقرائي.

- المنهج التاريخي.
- المنهج التحليلي.
- المنهج المقارن.
- المنهج النقدي.

وذلك وفقًا لموضوعات البحث، وحيثياته المختلفة، وكلما اقتضت الضرورة البحثية.

محتويات البحث:

اشتمل البحث على: مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

- واشتملت **المقدمة** على بيان مختصر عن البحث وأهميته، وأسباب اختياره، ومنهجيته، ومحتويات البحث.

- وجاء **الفصل الأول** بعنوان: التمركز الغربي حول الذات، وتغريب "**الآخر**" ونفي وازدراء ثقافته.

واشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول:** التمركز الغربي حول ذاته.
- **المبحث الثاني:** تغريب "**الآخر**" ونفي وازدراء ثقافته.

- وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: "**الأنا الغربية**" واحتقار "**الآخر**" وتشويهه والخوف منه.

واشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول:** "**الأنا**" الغربية، وعجرفة الاستعلاء.
- **المبحث الثاني:** الازدراء الغربي "**للآخر**"، وتشويهه – خاصة الآخر المسلم –
- **المبحث الثالث:** الخوف الغربي من "**الآخر**" – خاصة الآخر المسلم –.
- **المبحث الرابع:** مدى التأثير الفلسفي على الغرب في تشكيل منظومة (**الأنا والآخر**).

- وجاءت الخاتمة مشتملة على:

أهم نتائج البحث.

أهم التوصيات والمقترحات.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

والله من وراء القصد،،

الفصل الأول

التمركز الغربي حول الذات، وتغريب "الآخر" ونفي وازدراء ثقافته

ويشتمل على مبحثين:

- **المبحث الأول: التمركز الغربي حول ذاته.**
- **المبحث الثاني: تغريب "الآخر" ونفي وازدراء ثقافته.**

المبحث الأول

التمركز الغربي حول ذاته

لا شك أن الغرب قد انطلق من فكرة (**المركزية**)[1] متجهًا بخطوات سريعة نحو نبذ الآخر ومحوه من الخارطة الحضارية والثقافية دون تردد، ودون خشية الوقوع في تناقضات ومعضلات فكرية تفرضها الوقائع والأحداث التاريخية للحضارات الأخرى، وتشهد بصدقها المعالم والآثار والمصنفات التي يعج بها الشرق؛ أوسطه وأقصاه وأدناه!

فالغرب في مجمله لا يرى سوى حضارته وعلومه وثقافته، وليس ثمة حضارات وعلوم وثقافات أخرى تستحق الإعجاب، فضلًا عن مجرد ذكرها.

فالمركزية الغربية حول الذات تمثل إرثًا فكريًا تموضع الغرب فيه واستقر دون أدنى محاولة لرؤية الآخر؛ إلا من نافذة الاستعلاء عليه، ورؤيته تابعًا لا أكثر.

ففكرة (**التمركز حول الذات**) أدت إلى انبثاق جميع صنوف الأيديولوجيات المختلفة، وقد حددت الإطار الذي سيتموضع فيه الغرب تجاه الآخر، ليس الآخر

---

(١) **المركزية:** هو المذهب الذي يجعل الأشياء مركزًا للعالم، ويعتبر خير الإنسانية العلة الأخيرة لباقي الأشياء. (موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لا لاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت وباريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، جـ ١، صـ ٧٤)، ويطلق اصطلاح **مركزية الذات** على: ميل الفرد إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته، ومركزية الذات صفة الطفل الذي لا يشعر بالحاجة إلى مكاشفة الآخرين بما في نفسه، ولا بالحاجة إلى الاقتداء بهم في تفكيره، ومعنى مركزية الذات قريب من معنى الانطواء على الذات. (المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢ م، جـ ١، صـ ٥٨٠).

هو الجحيم فقط، بل الآخر الذي لا يحق له إلا أن يكون تابعًا للنسق الذي قد رُسم، وبالتالي فرض الحضارة الغربية على باقي الثقافات، وتقديس كل ما هو غربي، وتهميش الآخر، وسحق جميع من يخالف هذا التصور(١).

فليس ثمة حضارات أو ثقافات أو علوم أو إنجازات تمثل قيمة حقيقية للبشرية تستحق الإشارة إليها أو الانتفاع بها، – من وجهة نظر المركزية الغربية – سوى الموسوم بختم الغرب فقط، أما كل ما هو دون ذلك فلا مجال للحديث عنه بشكل أو بآخر.

"**فلا موقع إذًا للآخر في خارطة التفكير الغربي، وغاية الكمال:** أن يكون الآخر غربيًا، فحيث يكون الغرب فثمة منطق يقود الحياة إلى مصير خالد، وبهذا تترتب شئون الآخر، بمنظور غربي لا يريد أن يرى في موضوعه إلا ما يتقصد أن يراه هو فعلًا ويرغب فيه... واضح أن الغرب رتب العالم حول مركز، شكَّل هو جوهره، وكل من ابتعد عن المدار المتصل بذلك المركز هوى إلى الحضيض؛ لأنه فقد اتصاله بالمركز المانح للأشياء أهميتها"(٢).

تلك هي مركزية الغرب الاستعلائية التي لا ترى سوى ذاتها مصدرًا وحيدًا للعلم والتحضر، والإلهام لباقي الأمم للمسير نحو التقدم والرقي وممارسة القيم الإنسانية!

---

(١) بين مركزية الأنا الغربية وميلاد الأصوليات، نقد جارودي للذاتية الغربية، نصر الدين سراي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ٢٢٥.

(٢) الثقافة العربي والمرجعيات المستعارة، د. عبد الله إبراهيم، دار الامان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م صـ ١٨٣، صـ ١٨٥.

أسباب تمركز الغرب حول ذاته[1]:

لا شك أنَّ ظاهرةً عريضةً وعميقةً مثل ظاهرة التمركز الغربي حول ذاته لا يمكن أن تنشأ بدون أسباب واضحة تكون من القوة والرسوخ بالقدر الذي يمكنها من تثبيت ظاهرة كهذه التي تلبَّس بها الغرب، حتى لا يستطيع أن يفارقها مهما ادَّعى وتشدَّق بعبارات وشعارات جوفاء يعبر بها عن قيم العدل والمساواة وحق تقرير المصير... إلخ.

فنجد أحد الباحثين يُرجع أسباب التمركز الغربي حول ذاته عند **(روجيه جارودي)** إلى:

١ – الإرث اليوناني المُعظِّم للذات الغربية وتميزها عن باقي الذوات.

٢ – المرجعية الدينية وتأثير الفكر اليهودي والمسيحي.

٣ – التأثير العرقي[2].

فالإرث اليوناني وما يحمله من معتقدات راسخة بتميز العقلية الغربية عما سواها، وتميز الإنسان الغربي في العموم عن باقي الأمم، كان أصلًا قويًا بُنيت عليه المركزية الغربية حتى صارت إلى ما هي عليه الآن.

---

(١) **الذاتية:** عند المنطقيين: الذاتي لكل شيء ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه، وقيل: ذات الشيء نفسه وعينه، (التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م، صـ ١١٩)، والذاتية: تطلق على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء، ومنه الذاتي وهو ما يخص الشيء ويميزه. (المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، جـ ١، صـ ٥٨٠). ويُراد بها في الحقل الفلسفي: الاستعلاء بالنفس والعمل على تحقيق مطالبها، ونبذ الغير وعدم الاعتراف به كآخر مناظر.

(٢) بين مركزية الأنا الغربية وميلاد الأصوليات، نقد جاروي للذاتية الغربية، نصر الدين بن سراي، صـ ٢١٦.

فكان التقييم السائد عند اليونان القدماء: إغريق وبرابرة، سادة وعبيد،... وأخضع التقسيم في القرون الوسطى إلى معيار الإيمان فيصلًا بين الذات والآخر، ثم قام التفكير الغربي الحديث باعتماد مبدأ الحضارة(١).

وهكذا تدرج إنتاج مفهوم **(الذات والآخر)** عند الغرب ابتداءً من سذاجة الطرح اليوناني؛ حيث التقسيم العنصري إلى إغريق وبربرة، وسادة وعبيد... حتى القرون الوسطى وهيمنة السلطة الدينية، ثم عصور النهضة والحداثة؛ حيث التفاخر بالحضارة المادية والنبوغ في العلوم الحديثة، والتي صارت مضغة في أفواه الغربيين يلوكونها ليل نهار.

وإن كنت أرى ضعف السبب الديني في القرون الوسطى المظلمة، إلا أني لا أستبعد تأثيره في الحفاظ على بقاء فلسفة **(الذات والآخر)** لدى الغرب في تلك الحقبة الزمنية التي انقطعت فيها أسباب التعالي والغرور الغربي؛ نظرًا لما اعترى هذه القرون من ضعف ووهن وظلم وفساد وتخلف يصعب معه الإبقاء على أفكار كهذه إلا من خلال سلطة دينية عقيمة ومستبدة تجعل من هذه الشعارات مرتكزًا لبقائها.

بل إن فترة كهذه **(القرون الوسطى)** تبدد كل ادعاءات الغرب حول تأصيله لمركزيته للعالم عبر التاريخ وحتى الآن، تلك الحقبة الزمنية الأشد ظلمة في تاريخ الغرب – بل في التاريخ البشري كله – والتي انقطع فيها عن ينابيع التحضر والعلم والثقافة، بل انحدر إلى حضيض التخلف والظلم والفساد، مما أدى إلى إخفاق مفكريه وفلاسفته في تبرير أو التماس الأعذار لما حدث طيلة هذه القرون.

وإن كان الغربيون قد نسوا أو تناسوا هذه الحقبة الزمنية الطويلة، لما

---

(١) الثقافة الغربية والمرجعيات المستعارة، د. عبد الله إبراهيم، صـ ١٧٦.

يعتريها من أحداث تُلحق بهم سُبة الدهر، إلا أنهم لا يزالون يتحدثون عن عراقتهم وتاريخهم **(المجيد)**!؛ ليبرروا لأنفسهم وغيرهم أن حلقة العراقة والتاريخ متصلة بحلقة الحداثة والمدنية المعاصرة، وأن هذه الأخيرة ليست إلا نتاج طبيعي للأولى؛ لينظموا **(في خيالاتهم)** سلسلة المجد والتميز الذاتي عن الآخر منذ البداية وحتى الآن.

وثمة استعظام وتضخيم حدث لما يُعرف بـــ **(المركزية الغربية)** في العقود الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية، ومع التطور المذهل في العلوم التجريبية لديهم، حتى بات مستقرًا عندهم: أنهم مصدر العلوم والقيم دون غيرهم، وأن **(مركزيتهم)** هذه حق لا يقبل الجدل.

تقول زيجريد هونكه: "إن من خطل الرأي أن يدعي الأوروبيون أن أوروبا هي فقط العالم الحديث، ومن الحماقة أن يدعي الأوروبيون أن تاريخ أوروبا هو تاريخ هذا العالم، فالحقيقة أن سائر القارات ساهمت في تكييف الأحداث العالمية، ونحن لا نجد فيما كتب الأوروبيون إلا إشارة عابرة إلى أن دور العرب لا يتعدى ساعي البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني"(١).

وإني أتساءل في دهشة: أين كان الأوروبيون طيلة ثمانية قرون كاملة، حينما كان المسلمون يحملون مشاعل العلم والحضارة والقيم الإنسانية في أعلى درجاتها؟!

لقد كانوا غارقين في ظلام الجهل والفقر والظلم والاستبداد!

ثم أتساءل أيضًا: كيف يُترك الحديث **(سهوًا أو عمدًا)** عن حضارات الشرق القديمة، الفرعونية، الصينية، الهندية، البابلية، الآشورية، الفينيقية،... ؟!

ثم يتحدث هؤلاء عن **(ذاتية الغرب ومركزيته)**!

---

(١) نحن وحضارة الغرب، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨١ م، صـــ ٣٦.

أي ذاتية وأي مركزية تلك التي يتحدثون عنها دون خجل في ظل هذا الزخم الحضاري منذ القدم؟!

تأصيل ذاتية الغرب ومركزيته بـ(التميز العرقي):

سبق وأن بيَّنت أن أصل فكرة **(المركزية الغربية)** ترجع إلى مصدرها اليوناني، والذي قام بدوره إلى تقسيم البشرية إلى إغريق وبرابرة، وسادة وعبيد ... إلخ، ويبدو أن هذا التقسيم العرقي قد لاقى رواجًا لدى الغرب في الغالب، ليس هذا فحسب؛ بل ذهب البعض منهم إلى تثبيت الفكرة وتأصيلها بطرق مختلفة، واعتمادها كمبدأ عام حقيقي لا يحتمل الشك أو النقد.

فأصبح الكثير من مفكري الغرب وفلاسفته **(بل وعلمائه)** يتشدقون بهذه **(العرقية الصريحة)** ويغتنمون الاستناد إليها في تمرير وتبرير آرائهم التي تدور حول إعلاء ذاتية الغرب ومركزيته المزعومة، ودونية الآخر وتبعيته للغرب!

يقول كافين رايلي في التمركز العرقي: ما من مجتمع أنتج مجموعة من الشعراء والفلاسفة والدبلوماسيين المؤمنين بالعنصرية كتلك التي أنتجتها الطبقة الحاكمة الأوروبية والأمريكية، وما من مجتمع آخر ربط بين قيمة المدنية والعنصرية هذا الرباط الوثيق، ولعل هذا وحده ينهض دليلًا على مدى شمولية الاستغلال العنصري الغربي، لقد ألح الغربيون كثيرًا وطويلًا وبشدة، قائلين: إن ما يفعلونه لم يكن إلا أمرًا طبيعيًا(١).

فهذا الإيمان بالعنصرية لهؤلاء الغربيين، فتح على العالم ويلات وأبواب شرور عظيمة لا يستطيع أحدٌ غلقها حتى الآن، ولو أن بابًا من أبواب الشر هذه تم إغلاقه لانفتح عقبه أبوابًا أخرى! ولا زلنا نجني ثمار تلك العرقية

---

(١) صورة الآخر الحضاري نقد الاستعلاء في المركزية الغربية، د. عامر عبد زيد الوائلي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ١٤٤.

والعنصرية التي يتبناها الغرب؛ ليبرر لنفسه الفظائع التي يرتكبها بحق الآخر، والذي لا يمثل عنده سوى كونه **(آخر)**.

ولعل هذا ما يبرر التناقض الذي يعيشه الغرب، بين تصرفاته الداخلية واهتمامه الرائع بأبناء جلدته، وحرصه على ترفيههم بأقصى درجات الترفيه؛ وبين تصرفاته الخارجية تجاه **(الآخر)** والذي لا يعدو في نظره سوى مجرد إنسان من الدرجة الثانية، يمكنه التصرف في جميع أموره، والحكم عليه بأية أحكام شاء، واستغلال ثرواته وأراضيه بغير حساب.

وحقًا ما قال رايلي في وصفهم: لقد ألح الغربيون كثيرًا وطويلًا وبشدة قائلين: إن ما يفعلونه لم يكن إلا أمرًا طبيعيًا!

يقول ميشال فيفيوركا: هذا هو قلب **(العرقية)** المنعوت بالفروقية، المتمثل باتهام السود في الولايات المتحدة بأنهم ثقافيًا يرفضون المبدأ الأمريكي، أو اتهام بعض الأقليات في فرنسا المتحدرة من الهجرة بأنها **(مختلفة)** بصورة غير قابلة للتبسيط، وعاجزة **(كليًا)** عن التكيف مع المجتمع الفرنسي، في حين أن الراغبين بالاندماج كانوا أساسًا ضحايا للاستعباد والنبذ **(العرقي العنصري)**[1].

ولا يزال الغرب يبرر لنفسه تصرفاته اللاأخلاقية تجاه **(الآخر)** معتمدًا على ما سبق إقراره وتأكيده من كون **(الآخر)** غير مكافئ له في الأصل والعرق.

فـ **(نحن)** في الغرب و **(هم)** في الشرق أو أي مكان آخر، لقد كان التفكير العنصري جزءًا لا يتجزأ من العلم وفلسفة التنوير، فعادة تصنيف الناس إلى فئات **(طبيعية)** بالطريقة نفسها التي صُنِّفت فيها الطبيعة؛ هي تراث تنويري أيضًا، فقد أسهم الفلاسفة وعلماء الطبيعة في القرن الثامن عشر من **(كارل**

---

(١) التعددية الثقافية، مفهوم يجب إعادة بنائه، ميشال فيفيوركا، ترجمة: عماد أيوب، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ١٠٩.

فون) إلى **(هيجل)** في التصنيف الهرمي للمجموعات البشرية والمجتمعات... إن تصور الغرب لذاته كان مرتبطًا مباشرة وبالضرورة بالبنية المنحرفة لـ **(الآخر)**[1].

إن أمر **(تحييز الذات الغربية بالعرق)** وجعله في قمة التصنيف الهرمي للبشرية، والحط من شأن **(الآخر)** وجعله في طبقات أدنى وأقل دونية، ليس **(فقط)** مؤسسًا على تنظير عقلي وفلسفي، بل أخذ شكلًا علميًا مرتبطًا ومقصودًا منذ بدايات القرن الثامن عشر الميلادي على أيدي كثير من علماء الغرب، أبرزهم **(تشارلز داروين ١٨٨٢ - ١٨٠٩م)**، و **(أرنست رينان ١٨٢٣ - ١٨٩٢م)**.

داروين (١٨٨٢ - ١٨٠٩م):

يعد داوين من أكثر علماء الطبيعة الغربيين تأثيرًا على نمو ونضج معتقدات الغرب العرقية **(العنصرية)** تجاه **(الآخر)**، وخاصة بعد صدور كتابيه **(أصل الأنواع)** و **(أصل الإنسان)**، وتأسيسه لنظريته حول النشوء والارتقاء والتطور المرحلي للجنس البشري.

وكأن الغرب قد وجد ضالته في السند العلمي الذي افتقده قرونًا طويلة للتأصيل التجريبي لمعتقداته التي طالما نادت بالتفريق بين **(الأنا)** و **(الآخر)**، وأن ثمة فروقًا عرقية لا بد وأن توضع في الاعتبار، ليجعل إرثه اليوناني عن الطبقية البشرية حقيقة علمية ثابتة!

ولكن هيهات؛ فإن غاية ما توصل إليه داروين لا يتجاوز النظرية العلمية غير مكتملة الأركان، وإن جُل ما تتمسك به المدرسة الداروينية يفتقد لأبسط

---

(١) تصور الآخر، تمييز ممأسس وعنصرية ثقافية، مسعود كمالي، ترجمة: طارق عسيلي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ١٧٥، ١٧٦.

الأدلة العلمية حتى الآن، بل إن المُطالع لشئون الغرب يجد أن **(نظرية)** داروين التطورية قد نفقت نفوقًا كاملًا في جميع الأوساط العلمية والمجتمعية، وأنه كلما تطور العلم وزادت استدلالاته الحقيقية النابعة من البحث والتجربة، كلما أُسدل الستار على نظرية التطور الداروينية، ولكن عصبية الغرب وعنصريته تأبى إلا أن تتمسك بأي سند علمي أو تاريخي **(حتى لو كان مُتوهمًا)** لدعم ثوابته حول **(مركزيته)** وإقرار **(الأنا)** و **(الآخر)** كل يوم أكثر من سابقه، فتلك أمور راسخة في عقلية الغرب (لا انفكاك عنها)، كيف وقد بنى عليها ماضيه وحاضره! ولا يزال يسعى لبناء مستقبله القريب والبعيد عليها أيضًا.

وقد رصد أحد الباحثين أشكالًا متنوعة من هيمنة الغرب، وتوظيف العلوم من أجل تأكيد تفوق **(العرق الغربي)** على غيره استنادًا إلى نظرية **(داروين)** في التطور:

١- في عام ١٨٨٣ م قدِم فرانسيس جالتون بكلمته المميزة **(تحسين النسل)**، فقد كان يرى أن البشر قابلون للتحسن كالنباتات، مع إمكان تخطيط الانتقاء الطبيعي والتطور، وانتشرت هذه الأفكار على يد كارل بيوسن الذي زعم أن بعض الأجناس ضعيفة العقل، والعكس.

٢- تصاعدت هذه المطالب مع النازية التي ادعت بأن الجنس البشري يختلف بعضه عن بعض **(جينيًا)** مما سوَّغ للجيش الألماني ارتكاب فظائع، منها: إبادة قبيلتين في ناميبيا (١٩٠٣ - ١٩٠٨م) بلغ عدد ضحاياها ثمانون ألفًا!

٣- طوَّر مفكرو الداروينية الاجتماعية في أوروبا موقفًا لا أخلاقيًا تجاه المجتمع الإنساني، كان من شأنه إقرار خيرية العرق الأوروبي الأبيض على غيره معيارًا للطهارة العرقية![1].

---

(١) صورة الآخر الحضاري، عامر الوائلي، صـ ١٥٥، ١٦٥.

فما أسَّسته المدرسة الداروينية على (نظرية داروين في التطور) لتطبيق مبدأ الغرب في (**التفوق العرقي**) وبناء أسطورة (**الأنا**) و (**الآخر**)؛ جعل حكومات وجيوش الغرب تستبيح لدولها جميع ممتلكات (**الآخر**) وثرواته، بل والآخر نفسه ككيان بشري (من درجة متدنية)، فهي مستباحة على كل حال! كيف لا وقد استباح الغرب لنفسه تقسيم أراضي الشرق (**الآخر**) على بني جنسه من القوميات الأوروبية المختلفة: الإنجليز، الفرنسيين، الإيطاليين... إلخ، تحت ذريعة (**الاستعمار**)، وكأن الجنس (**الآخر**) صاحب الأرض والتاريخ لا يستطيع إعمار أرضه وتأسيس حضارته؛ نظرًا لقصور فكره (**جينيًا**) حتى يأتي الرجل الأبيض (**المتفوق عرقيًا**) ليُعمِّر تلك الأراضي الشرقية! في خيلاء واستعلاء نابعين من (**مركزيته**) والتي توَهَّم استحقاقها بناءً على أفكار ونظريات مغلوطة ومتوهمة منذ أجداده اليونانيين وحتى عصوره الحديثة.

إن أخطر ما تحمله لنا المدرسة الداروينية، أنها قدمت مُسوغًا علميًا (**مُتوهما وباطلًا**) لما قام به الغرب من قبل داروين ومن بعده، لتلك البشاعات والممارسات الحقيرة التي ارتكبها الغرب في حق (**الآخر**) في الشرق بأكمله – أوسطه وأقصاه وأدناه – وأن ثمة تأثيرات علمية (**سلبية**) لتلك النظرية على الحقل العلمي التجريبي، والتي يتداولها المهتمون بهذا الشأن، ليست شيئًا يُذكر أمام تأثيرها على العقلية الغربية المتمركزة حول ذاتها، وما جنته على (**الآخر**) من ويلات تخجل صفحات التاريخ أن تذكرها أو تُذكِّر الناس بها.

رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م):

يعد أرنست رينان، العالم والفيلسوف الفرنسي الشهير من أبرز فلاسفة الغرب وأكثرهم تأثيرًا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وحتى الآن، وقد اشتهر رينان بتعصبه (**للعرق الآري**) على حساب الأعراق الأخرى، وخاصة (**العرق السامي**)؛ حيث صنف رينان البشرية إلى صنفين (**عرقين**)

أساسيين: سامي وآري[1].

فالعرق السامي عند رينان يتسم بالكسل والخمول وضعف العقلية وعدم جدواها في العلم والتفلسف، وركونها نهائيًا لقبول الأحداث والوقائع اعتمادًا على المعتقد الديني والحدسية والروحية... إلخ.

على العكس من العرق الآري؛ الذي يعده رينان قمة السلالات البشرية، حيث يتميز بالعقلية الشديدة، وروح الابتكار والعلم وفلسفة أمور الحياة!

فيرى رينان – الساميون – يتسمون **(إلى جانب ضيق الذهن وعدم قبول الأفكار الجديدة والنظر العقلي)**، بالأنانية الشديدة والانصياع التام للقدر، وتفشي الفوضى والاستبداد... في مقابل ذلك يضع الجنس الآري وحده مهتمًا بالعقل والفلسفة والعلم والسياسة والفن، ويعطيه الأسبقية في انتصار الأجناس مستقبلًا[2].

ولا أدري على أي دليل استند القائلون بهذا التقسيم العرقي؟! وكيف تم نقاء الأعراق البشرية عن الاختلاط بغيرها على مدار الزمان؟! ومن يضمن حدوث

---

(١) **العرق الآري:** جنس تجمعه بعض الخصائص اللغوية والجنسية، بعضه في الهند وإيران، وبعضه في أوروبا. والآرية: فكرة تقول بتفوق الجنس الآري، وقد استندت إليها النازية الألمانية. (معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، جـ ١، صـ ٥٠). **العرق السامي:** جنس منسوب إلى سام بن نوحٍ (عليه السلام)، يقال: جنس سامي ولغة سامية، والأصل والحسب، يقال: فلان كريم العنصر والجنس، فيقال: فلان من العنصر الآري أو السامي. (المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، جـ ١، صـ ٤٦٥، و جـ ٢، صـ ٦٣١).

(٢) أرنست رينان، مجدي عبد الحافظ صالح، ط. الأولى، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٢٠م، صـ ٥٣.

ذلك، وبأي صورة حدث؟! إن ثمة مصلحة كبرى تستتر خلف هذا الطرح الآثم، إنها ولا شك محاولة إقناع العالم بأن العرق الآري **(المنعوت بالنقاء العرقي وتميز الصفات العقلية المؤهلة للتفوق العلمي والفكري وبناء الحضارة)**؛ هو وحده من يستطيع قيادة البشرية إلى مجدها وحضارتها دون غيره!

وبالتالي: يجوز للعرق الآري **(الغربي)** أن يصنع لنفسه **(مركزية)** يُدير من خلالها شئون **(الآخر)** ويتحكم ويتصرف فيها كيفما شاء، ودون أي رقابة أو مساءلة من أي أحد من **(الآخرين)**.

إنها محاولة بغيضة وخبيثة لاعتماد أوراق النفوذ الغربي في ممتلكات **(الآخر)** رسميًا!!

يقول الدكتور: عبد الحليم محمود: وبدأ المزيفون للحقائق في الغرب يقسمون الجنس البشري إلى نوعين كبيرين:

النوع الآري: ويتمثل خير ما يتمثل في أوروبا، وخصوصًا شمالها.

النوع السامي: ويتمثل خير ما يتمثل في الشرق الأوسط، والجنس العربي.

وانتهى بهم الوهم إلى أن الجنس الآري: مبتدع، مبتكر، مخترع، وأن الجنس السامي: متبع، مقلد. وتبنى "رينان" هذه الفكرة، وتزعم الدعوة لها، وقد كان ذا شخصية جارفة، وأسلوب قوي، واطلاع واسع، وكان لذلك أثر بالغ في نشر الفكرة ورواجها، وأيد المستعمرون الفكرة بجاههم وبمالهم، حتى كادت في فترة من الفترات تلبس ثوب الحقيقة المطلقة[1].

وهذا هو منتهى آمال الغرب في بلورة الفكرة وصبغها بالصبغة العلمية والتاريخية، مع العمل الدؤوب على نشرها، ومحاولة تثبيت أركانها، حتى

---

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبد الحليم محمود، مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٦م، صـ ١٤٩.

يتسنى لهم تنفيذ مخططاتهم وأطماعهم، ونهب (**الآخر**) واستنزافه ماديًا، فضلًا عن استنزافه أدبيًا وتاريخيًا؛ بفضل شيوع هذه الفكرة ومحاولة فرضها بشتى الطرق.

وفضلًا عما ذكرته – سابقًا – من الآثار البشعة المترتبة على شيوع مبدأ (العرقية) من الاستيلاء على ثروات (**الآخر**) واستباحة دمه وعرضه وكل ما يملك، فإنه ثمة أمرًا آخر في غاية الخطورة، **وهو محاولة طمس وتشويه العقيدة الإسلامية، وازدراء شعائرها وحضارتها.**

يقول بارون كارادوفو: إن توقعات التغير التقدمي بين المسلمين – باستثناء فارس بروحها الآرية– هي في حدها الأدنى، وإن الإسلام اليوم مدحور[(١)]،

---

(١) وبغض النظر عن عنصرية كارادفو، فإن قوله: (الإسلام اليوم مدحور)، يفتقر إلى الدليل؛ بل إن من الغربيين المنصفين من تحدث بخلاف ذلك تمامًا، يقول كيتاني: (لم تعد المسيحية قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد (الإسلام) الذي بدَّد بضربة واحدة كل الشكوك التافهة). الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، توماس أرنولد، ترجمة: د. حسن إبراهيم وآخرون، ترجمة: د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، صـــ ٨٩، وأيضًا ما ذكره رودني ستارك (عن الحيوية المتفجرة التي يتمتع بها الإسلام)، فلترقدي بسلام أيتها العلمنة، رودني ستارك، ترجمة: رامي طوقان، فصلية الاستغراب، عدد ٨، صـــ ٦٨، وما ذكرته كرستينا شتوكل (عن الحضور الكبير للإسلام في الغرب)، محاولة تعريف ما بعد العلمانية، كرستينا شتوكل، ترجمة: طارق عسيلي، فصلية الاستغراب، عدد ٨، صـــ ٣٥٣، وما ذكره كارلايل (عن خطأ وسخافات تكذيب الرسول (ﷺ)، وتضليل الإسلام)، أوروبا والإسلام، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م، صـــ ٦٠، وانظر أيضًا: الأديان العامة في العالم الحديث، خوزيه كازانوفا، قسم اللغات الحية، جامعة البلمند، صـــ ٢٤٣ وما بعدها. وغير ذلك الكثير والكثير من أقوال منصفي الغرب، والذين تُظهر كلماتهم مدى عنصرية كارادفو ضد الإسلام.

وإن انحلاله السياسي أمر حتمي، وأما فيما يتعلق بالمصير الزمني للإسلام فإن الإسلام بوصفه دينًا انتهى(١).

إن كارادفو لم يستثنِ من المسلمين أحدًا سوى تلك البقعة الشيعية ذات الأصل الفارسي، والتي تشاطرهم العداء لغيرهم من المسلمين، ولم يجد سببًا لاستثنائهم سوى **(مجرد تشبههم بالآرية)**! ولا يخفى أن هذه الكلمات الحاقدة على الإسلام والمسلمين متشبعة بالعرقية، لا لشيء إلا لتحقيق مصالح الغرب، وتبرير بشاعاته المادية والأدبية.

ومن العجيب أيضًا أن **(نيتشه)** كان يؤمن بالوراثة إيمانًا عميقًا، برغم مراجعته لمعظم الأفكار التقليدية، وإذا سئل: هل يستحق النبلاء أن يكونوا نبلاء بحق؟ وإنما احتلوا هذه المكانة بالوراثة فحسب؟ يجيب: إن عراقة النسب مصدر حقيقي للفخر، فللمرء أن يفخر بحق إذا كانت لديه سلسلة متصلة من الأسلاف الأمجاد وتستمر حتى الأب(٢).

وليس ثمة شك في التأثير الكبير الذي تحدثه شخصية فلسفية كبيرة مثل "فريدريك نيتشه" في الشعب الألماني، بل في أوروبا كلها، وما حدث بسبب "الحزب النازي" من معارك وحروب طاحنة أرهقت العالم بأسره، كانت مؤسسة على أفكار عرقية كتلك التي يعتقدها نيتشه وأمثاله.

يقول نيتشه صراحة: إن كل ارتقاء بالنوع الإنساني كان حتى اليوم من عمل مجتمع أرستقراطي، وسيكون كذلك دائمًا، أعني مجتمعًا يؤمن بالتفاوت الكبير

---

(١) تصور الآخر، تمييز ممأسس وعنصرية ثقافية، مسعود كمالي، ترجمة: طارق عـسيلي، صـ ١٧٩، نقلًا عن:

Al-azmeh Aziz (١٩٨١) The articulation of orientalism, in Arab Studies Guanterly, No. ٣ (٤). Pp ٣٨٩ - ٤٠٢.

(٢) نيتشه، د. فؤاد زكريا، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة، ١٩٩٦م، صـ ١١٧.

في المراتب بين الإنسان والإنسان، وتباين قيمة كل منهم، ويرى الرق بأي معنى من معانيه ضرورة حتمية(١).

ولقد كان نيتشه دائم الحديث عن **(أخلاق السادة وأخلاق العبيد)**، حتى سُميت فلسفته: **(فلسفة القوة)**، فالبقاء للأقوى والأعرق!

بل ذهب نيتشه إلى ما هو أبعد من ذلك؛ حيث ميَّز العرق الألماني عن غيره من الأوروبيين، حيث يقول: تمثل ألمانيا كمًا هائلًا من **(المزايا الموروثة)** والمكتسبة؛ بحيث يمكنها وبإسراف توزيع كنوز القوى التي جمعتها،... إنه ارتقاء فضائل أشد رجولية من تلك التي قد يقدمها أي بلد أوروبي آخر(٢).

إن نيتشه بعمق قناعته بـــ **(العرقية)** ورسوخ إيمانه بها؛ استعلى بـــ **(عرقه الألماني)** على بني جلدته من الأوروبيين! وفي هذا تأييد لما ذكرته – سابقًا – أن المنفعة هي المحرك الأساس لنظرية **(العرقية)** وما تستتبعه من نظرية **(المركزية الغربية)** المزعومة؛ فحيثما وجدت المنافع فلا بد من وجود مبرراتها، وليس أدل على ذلك من وجود نيتشه وفلسفته في **(القوة)** في عصر الغطرسة الألمانية ومحاولاتها السيطرة على العالم، فحينما تتعارض المصالح الغربية فثمة عرق ألماني أفضل بكثير من باقي الأعراق الأوروبية، وحينما تتوافق المصالح الغربية فثمة عرق آري أفضل بكثير من باقي الأمم!!

فالثقافة الغربية تعطي لنفسها حق مساءلة الثقافات جميعها، واعتبار النموذج الغربي هو المعيار الوحيد؛ وعليه فالثقافة الأوروبية التي تنطلق من نزعة

---

(١) المصدر السابق، صـــ ١١٨، وانظر: نقد الحداثة في فكر نيتـــشه، د. محمـــد الـــشيخ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، صـــ ٤٤٦.

(٢) أفول الأصنام، فريدريك نيتشه، ترجمة: حسان بورقيبة، محمد الناجي، أفريقيا الـــشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، صـــ ٦٤.

(التمركز الغربية) قد أقامت صروحها على فكرة **(النظرية العرقية)** القائلة بالتفوق للجنس الغربي، فهذه النظرية حقيقة يمكن عدها ناظمًا لفكرة **(المركزية العرقية الغربية)** التي تجمع كمالات الصفات في الجنس الأوروبي، فالمعيار إذًا هو عرقي بامتياز، وفي ذلك يقول جارودي: تلك هي الأسطورة الأولى لنزعة أوروبا المركزية، والتي يحسن تبديدها كما لو كانت حلمًا كاذبًا(١).

ويقول روجيه أرنالدير: إن الغرب يشعر بعقدة نفسية **(مُرَكَّب العظمة)** حالت دون تفهم إنسان الغرب للحضارات الإنسانية المغايرة لحضارته والمختلفة عنها(٢).

والخلاصة: أن الغرب قد انطلق من إرثه اليوناني قديمًا، وسلطته الدينية في العصور الوسطى، ونظريته الآثمة في العرقية حديثًا، ليصنع لنفسه **(مركزية)** مزعومة لترسيخ معتقداته حول **(الأنا)** و **(الآخر)** لتبرير مصالحه ومطامعه لدى **(الآخر)**، وأيضًا لتطهير يده مما ارتكبته من بشائع وفظائع على مر تاريخه، وما يقوم به الآن، وما ينوي القيام به مستقبلًا.

---

(١) بين مركزية الأنا الغربية وميلاد الأصوليات، نقد جارودي للذاتية الغربية، نصر الدين سراي، صـ ٢١٤.

(٢) ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م، صـ ٩٨.

﴿ المبحث الثاني ﴾
تغريب "الآخر" ونفي وازدراء ثقافته

كان الغرب ولا يزال يسير في اتجاهين متوازيين يحملان هدفًا واحدًا؛ فالاتجاهين هما:

١- محاولة تغريب **(الآخر)** بفرض الثقافة الغربية عليه طوعًا أو كرهًا.

٢- نفي ونبذ ثقافة **(الآخر)** واعتبارها كمًا مهملًا لا يمثل أدنى قيمة للبشرية.

والهدف هو: إرساء وتدعيم **(مركزية الغرب)** وفرض السيطرة والهيمنة على **(الآخر)** في كافة مناحي الحياة، وخاصة: المادية والأخلاقية.

فالأنا الغربية ثابتة على مبدئها في التعالي والتعاظم على **(الآخر)** غير مكترثة بثقافته وحضارته وتاريخه، وجُل همها: فرض ثقافتها وسلطانها وسيطرتها ونفوذها على هذا **(الآخر)** في كل تفاصيل وشئون حياته؛ جملة وتفصيلًا.

فالغرب دائم العمل على تغريب **(الآخر)** وخلق صورة مماثلة تمامًا له، بل وتابعة له تبعية تامة، وخاضعة لأوامره ونواهيه، تقتفي أثره، وتنتهج منهجه، وتقلده تقليدًا أعمى في كافة أمورها، وخاصة أمة الإسلام في الأراضي العربية المليئة بالثروات الطبيعية.

ولا يزال المسلمون يقاسون من محاصرة حركة التغريب لفكرهم الإسلامي، بخلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم محاكمة الفكر الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية، وتسييدها على الحضارة الإسلامية، بل والحضارات الأخرى جميعها[١].

---

(١) ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، صـ ٤٣.

وسيادة الحضارة الغربية ومركزيتها للآخر يستدعي العمل على تشويه ونبذ الحضارات الأخرى، بل والعمل على سحقها وإبادتها، ثم فرض ثقافته المشبوهة تلك، والعمل على إرسائها مبدأً عامًا مفروضًا على الآخرين.

فقد كان هدف النفوذ الأجنبي **(استلاب)** حضارة الأمة التي يسيطر عليها، وكان سبيل الاستلاب الحضاري هو الاستلاب الفكري، وأسلوب الاستلاب هو تقديم المثال من فكر الغاصب، وسلاح الاستلاب هو هدم الأسس والقيم لحضارة الأمة المستلَبة والقضاء على مقومات ومظاهر حضارتها في نفسها وقومها وفي الواقع المعاش، والهدف هو تجريد الأمة من كيانها الحضاري والروحي ليسهل السيطرة عليها اقتصاديًا واجتماعيًا وفكريًا، بأن تحتقر النخبة لغتها وقيمها الدينية والأخلاقية، وتستطلع إلى النموذج الوافد كمثل أعلى، فتنصهر في فنون الغرب وقيمه(١).

فثمة محاولات متكررة لتغريب **(الآخر)** وصهره ودمجه في بوتقة الثقافة الغربية بغثها وسمينها، دون حساب أو مراجعة لهذا **(الآخر)** في فكره وثقافته وحضارته التي بناها وارتضاها لنفسه، بل ودون حساب لدينه وعقيدته!

تلك هي الغطرسة الغربية التي تفرض نفسها على الآخر فرضًا، منطلقة من مبدأ **(الغاية تبرر الوسيلة)**، فالغاية: فرض مركزيتها ونفوذها على الآخرين، والوسيلة: أي وسيلة تؤدي إلى تلك الغاية، فهي مشروعة ومفروضة ويجب العمل بها!

تقول "**مارجريت تاتشر**": رئيسة وزراء بريطانيا الأسبق عن المسلمين: إنهم يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب، إنهم يمثلون أيدولوجية عدائية لأمريكا والغرب، ولا بد من تبني استراتيجية طويلة المدى

---

(١) ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، صـ ٢٣.

ليتسنى لنا هزيمتهم،... ويقول السيناتور الأمريكي "جوزيف ليبرمان": إنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليهم أمريكا القيم والنظم والسياسات التي تراها ضرورية،... ويقول المفكر الأمريكي "فوكوياما": إن المؤسسات التي تجسد مبادئ الغرب الأساسية ستستمر في الانتشار عبر العالم، وإن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي لديها مشاكل أساسية مع الحداثة(١).

إن الغرب دائمًا ما يتحدث عن "عدائية" مصطنعة مع الإسلام والمسلمين، ودائمًا ما يفتري بتلك الاصطلاحات التي يروجها ليل نهار عبر مختلف وسائله الإعلامية، مثل: الإرهاب الإسلامي، التشدد الإسلامي، الأصولية الإسلامية... إلخ، فضلًا عن نعت المجتمعات الإسلامية بالجمود والتخلف والرجعية... إلخ، والغرب يعلم ونحن نعلم أن كل ذلك محض افتراء وتلفيق، وليس سوى وسيلة ناعمة لتشويه الآخر عقديًا وفكريًا وأخلاقيًا واقتصاديًا، ثم الوثوب عليه بفرض ثقافته المشوهة، والعمل على استقرار مبدأ "مركزيته".

والتغريب يعمل على حمل المسلمين والعرب على قبول الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد، وإخراج المسلمين عن دائرة قيمهم، بما يخلق شعورًا بالنقص في نفوسهم، وتحريف التاريخ الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام، وانتقاص دوره في تاريخ البشرية، وخلق أجيال جديدة من المسلمين تحتقر مقومات الحياة الإسلامية والشرقية، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه، وتدمير البطولات الإسلامية والتشكيك في عظمتها(٢).

---

(١) الإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، د. محمد عمـــارة، دار الشروق، القاهرة، ط الثانية ١٤٢٧ هـــ/ ٢٠٠٦م، صـــ ٤٩.

(٢) ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، صـــ ٤٣.

والحق أن طمس الحضارات **(وخاصة الحضارة الإسلامية التي تمثل العدد الأكبر والأساس للغرب)** وتشويه مآثرها وتحقير منجزاتها العظيمة؛ أصبحت سياسة مستقرة وممنهجة لدى الغرب؛ معتمدًا على آلته الاستشراقية الضخمة والعتيقة، والتي لا تضن بجهدٍ أبدًا في سبيل طمس وتشويه معالم ثقافة وفكر وحضارة الآخرين، وخاصة: الآخر الإسلامي.

ففي كتاب: "مصادر دراسة التاريخ الإسلامي" لـــ جان سوفاجيه وكلود كاين، والذي يعتبر من أهم المراجع لدى الغرب لدراسة مصادر التاريخ الإسلامي، نجد عبارات مليئة بالحقد والكذب على الإسلام ورسوله محمد (ﷺ)، وتاريخه، حيث يقول سوفاجيه وكاين: ومع أن التاريخ عند المسلمين قد تأثر في تطوره بالنماذج الساسانية الفارسية بصورة واضحة، وبالنماذج البيزنطية أو السريانية بدرجة أقل، إلا أنه اعتمد في أول ظهوره على المأثورات العربية... إلخ(١).

وهي محاولة لمحو أصالة تاريخ المسلمين وعزوه إلى مجموعة من المصادر الأجنبية، حتى يستقر في النفوس أن التاريخ الإسلامي عبارة عن مزيج ملفق من بعض الحضارات الأخرى.

ويقول سوفاجيه وكاين في موضع آخر في معرض حديثهما عن تدوين التاريخ الإسلامي: تضافرت عوامل عديدة لإحداث التفكك، منها تجاور حكايات قصيرة لا ترابط بينها، ومنها التكرار واختلاف الروايات، ومنها الثغرات الكثيرة الناجمة عن افتقاد الترتيب المنطقي، فلا يبقى سوى معلومات مفككة تترك في النفس انطباعًا مخيبًا للرجاء، ومع ذلك فمن هذه الحبات المتناثرة من الرمال

---

(١) مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، جان سوفاجيه، كلود كاين، ترجمة: د. عبد الستار حلوجي، د. عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، صـ ٤٩.

يجب أن يُكتب تاريخ القرون الأولى للإسلام(١).

إنها طريقة مقصودة وممنهجة لتشويه تاريخ المسلمين وحضارتهم التي سادت العالم طيلة ثمانية قرون كاملة، وقد كانت مركزًا وينبوعًا لا ينضب لتنوير وتحضر الأمم الأخرى، وخاصة الغرب الأوروبي، وكأن الغرب يخجل دائمًا من التأريخ الصحيح لتلك الحقبة الزمنية التي تشهد بعالمية الإسلام وصدق رسالته للبشرية، وكونه مركزًا حقيقيًا للتقدم والتنوير وبسط مبادئ العدل والحرية والمساواة بين كافة البشر، وليست كمركزيتهم المشبوهة، والمبنية على مبدأ التعالي والتعاظم والعرقية البغيضة.

ولم يكتفِ سوفاجيه وكاين بالطعن في تاريخ وحضارة المسلمين، بل تطرقا إلى الحديث الشريف حيث قالا: الحديث الشريف الذي سبق أن أشرنا إلى محدوديته من الناحية التاريخية، ولا يستطيع النقد التاريخي أن يحول هذه الأحاديث إلى مصدر يعتمد عليه للمعلومات، ولا سبيل لتدوين السيرة إلا بهدف تسجيل الحقائق التاريخية بنوع من التأرجح بين واقع غير ملموس وخيال تأويلي...(٢).

وهل دُوِّن حديث النبي (ﷺ): إلا بأوثق طريقة عرفها التاريخ البشري، بما فيه تاريخ العرب بأكمله؟! وغني عن الذكر أن طريقة تدوين الحديث الشريف وثبته التي ابتكرها المسلمون لا يتطرق إليها القدح من أي جانب من جوانبها، سوى ما يلوكه هؤلاء الغربيون من كذب وافتراء.

يقول "ديلاس أوليري": والحق أن هذه الثقافة الإسلامية في أساسها وفي

---

(١) مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، جان سوفاجيه، كلود كاين، ترجمة: د. عبد الستار حلوجي، د. عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، صـ ٥٤.

(٢) المصدر السابق، صـ ١٩٥.

جوهرها جزء من المادة الهيلينية[١] الرومانية، بل إنه حتى علم التوحيد الإسلامي قد تحدد وتطور بواسطة منابع هيلينية[٢].

فهؤلاء وأمثالهم من المستشرقين والمؤرخين الغربيين لتاريخ المسلمين وحضارتهم وعلومهم لا يريدون سوى محو – بل سحق – علومنا وحضارتنا وثقافتنا بالكلية، وحيث إنهم لم يستطيعوا ذلك فقد دأبوا على التشويه والتضليل والبخس لكل ما هو إسلامي.

وكان من أكبر المحاذير أن النفوذ الغربي ممثلًا بالاستعمار السياسي والعسكري والاقتصادي، قد فرض على المسلمين مفاهيم في الاجتماع والتربية والقانون، وحجب أسلوب الحياة الإسلامي تمامًا، وحاولت جميع النظريات الوافدة المكونة من نقائص وركام الغرب أن تفعل ذلك، ولكن لم تستطع أن تبقى طويلًا لأنها ضد طبائع الأشياء وضد الفطرة[٣].

---

(١) **الهيلينية:** يشير إلى الفترة الممتدة من غزوات الإسكندر (٣٢٣ ق. م) حتى نهاية القضاء على مملكته من قِبَل الرومان، أي حتى استسلام كليوباترا في مصر عام (٣٠ ق. م). (المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١٦م، صـ ٧٥٩)، ويمتاز هذا العصر بامتزاج الفكر اليوناني بالروح الشرقية. (معجم متن اللغة، (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، جـ ٥، صـ ٦٨٥).

(٢) الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ديلاس أوليري، ترجمة: د. حسان تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧ م، صـ ٢٠.

(٣) نحن وحضارة الغرب، أنور الجندي، صـ ١١، وانظر: الفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨م، صـ ٦٦، وانظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين صالح، الطبعة السابعة، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، صـ ١٢٢.

ولأن الإسلام عبارة عن عقيدة وشريعة تامتين، فضلًا عن نظامه الاجتماعي المتكامل والمتناسق، وكذا نظامه السياسي والاقتصادي والعلمي الذي لا يحتاج إلى مخلفات الغرب ونظرياته المبتورة والعقيمة، فقد كانت تلك المحاولات محفوفة بالفشل والإخفاق، بل وردها والنفور منها نظرًا لما يشوبها من نقائص ومذمات تشريعية وأخلاقية.

والخلاصة: أن الغرب عمل على تدعيم وإرساء (مركزيته) عن طريق طمس وتشويه ثقافة (**الآخر**) وحضارته، بالتوازي مع فرض ثقافته هو وحضارته المزعومة، وذلك ليمتلك أسباب القوة والسيطرة والنفوذ لتحقيق مطامعه ومصالحه واستنزاف موارد (**الآخر**) وثرواته، وحرصًا على البقاء على الهيمنة السياسية والثقافية دون غيره.

الفصل الثاني

"الأنا الغربية" واحتقار "الآخر" وتشويهه والخوف منه

ويشتمل على أربعة مباحث:

- **المبحث الأول: الأنا" الغربية، وعجرفة الاستعلاء.**
- **المبحث الثاني: الازدراء الغربي "للآخر"، وتشويهه - خاصة الآخر المسلم -.**
- **المبحث الثالث: الخوف الغربي من "الآخر" - خاصة الآخر المسلم -.**
- **المبحث الرابع: مدى التأثير الفلسفي على الغرب في تشكيل منظومة (الأنا والآخر).**

المبحث الأول

"الأنا" الغربية، وعجرفة الاستعلاء

تُعد "**الأنا**" الغربية جزءًا لا يتجزأ من التشكيل الجوهري لشخصية الغرب، وتعريفه بنفسه، وتأريخه لها، فهذا أمر مستقر في وجدان وضمير الغرب، بات مفروضًا لا يقبل النقد أو المناقشة، وليس ثمة قابلية للتعرف على "أنا" أخرى توصف بكونها "**الآخر**".

وقد سبق الحديث عن مفهوم "المركزية الغربية" وحيثياتها المختلفة، والتي تعد مرتكزًا أساسيًا في تضخيم فكرة "**الأنا**" وعجرفة الاستعلاء.

استمرارية "الأنا" وأصالتها التاريخية:

لقد دأب الغرب – ومنذ تاريخه القديم – على تعزيز واستقرار "**الأنا**" وعدم الاعتراف بـــ "**الآخر**" وتجاهل الحضارات غير الغربية واعتبارها مجرد "ترَّهات" وثقافات فارغة المحتوى لا تُسهم بأي قدر يُذكر في نماء البشرية وتطورها، بخلاف حضارته التي تمثل "**الأنا**" الغربية واستحقاقاتها المفروضة على "**الآخر**" طوعًا أو كرهًا!

فيبدأ كل تأريخ للفلسفة الغربية مع اليونانيين، ويتجاهل أي تأثير شرقي في اليونانيين القدامى، والأهم في هذا هو غياب الإشارة إلى الدور الذي قام به المصريون والشرقيون عمومًا في تشكيل المقاربات والأفكار الفلسفية اليونانية، فلم يكن إيجاد العالم الغربي "المتخيل" وانتشار أفكاره إلا محاولات "ذات توجه أوروبي مبالغ فيها"[1].

---

(١) تصور الآخر، تمييز ممأسس وعنصرية ثقافية، مسعود كمالي، ترجمة: طارق عسيلي، صـــ ١٧٧.

فالأوروبي فقط بثقافته وآريته وعقليته المتميزة هو المكوِّن لتلك "**الأنا**" التي لا توازيها "**أنا**" أخرى، يمكننا الإشارة إليها واعتبارها مكونًا ثقافيًا "آخرًا" يستحق المحاورة والمناقشة والاعتراف به موجودًا مغايرًا للذات الغربية.

يقول "مارشال سالينز": منذ أكثر من ألفي عام ظل من أُطلق عليهم اسم "الغربيين" مسكونين بشبح طبيعتهم... لا أنوي سرد تاريخ هذا الضمير الأسود لما نحن فيه، ولا بلوة تاريخ الأفكار، ولا حتى البحث عن آثار هذا الضمير، أريد فقط التأكيد على أن هذه الفكرة كانت موجودة"(١).

فلم تكن لتأخذ "**الأنا** و**الآخر**" كل هذا الجدل، لو لم تتحول في التفكير الغربي إلى عقدة "نفس – حضارية" بات شفاؤها أدنى إلى المستحيل، فالعقل المنتج لمعارف الغرب ومفاهيمه كان يعمل في الغالب مع السلطة لإنتاج أيديولوجيا كونية تنفي "**الآخر**" وتستعلي عليه، والنظر إلى كل تنوع حضاري باعتباره اختلافًا جوهريًا مع ذاته الحضارية... وكانت النتيجة: الاستبداد والاستعلاء لكل مغاير أو مختلف، والخصومة لجميع ما لا يدخل تحت وصاية "**الأنا**" وسلطانها(٢).

تلك الوصاية التي يعمل الغرب دومًا – وعبر تاريخه – على اعتمادها مبدأً عامًا لمنهجية التعامل مع "**الآخر**"، معتمدًا على المعلوماتية الاستشراقية وأفكارها الاستعلائية، ومنفذًا لها عبر نشاطه الاستعماري وحملاته العسكرية للاعتداء على "**الآخر**" وسلبه ثرواته ومقدراته، فضلًا عن سلبه حضارته وثقافته بتلك

---

(١) الطبيعة البشرية، نقد الوهم البشري حيال الذات والآخر، مارشال سالينز، ترجمة: رغد عسيران، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ٥٠، ٥٢.

(٢) الغيرية البتراء، حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، محمود حيدر، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ٧، ٨.

"**الأنا**" التي لا ترى غير ذاتها.

لقد عُدَّت الحضارة الغربية في المخطط الأساس في التاريخ وفي الأيديولوجيات الحديثة، وحتى في معظم فلسفات التاريخ بوصف كونها "الحضارة الأخيرة والمطلقة"؛ أي تلك التي يجب أن تعمَّ العالم كله، وأن يدخل فيها البشر جميعًا(١).

فتلك الروح هي المسيطرة على الفكر الغربي "قديمه وحديثه" تلك الروح المشبعة باستعلاء "**الأنا**" والالتفاف حول "الذات" وتجاهل "**الآخر**" ورؤيته صغيرًا ومتضائلًا بجوار تلك "الذات" العظيمة الملهمة للحياة والحضارة.

حب الأنا والتمسك بمطالبها:

إن أبرز ما يميز "الأنا" الغربية هو: حبها لذاتها، ومحاولة إرضائها بشتى الطرق، والتمسك بمطالبها، حتى ولو كان تحقيق تلك المطالب هو بعينه هدر لمقدرات "**الآخر**" وسلب لممتلكاته وحقوقه! ومجرد التعريج على علاقة الغرب بـــ "**الآخر**" عبر تاريخه، ليؤكد على صدق ذلك، بل إن علاقة الغرب بـــ "**الآخر**" قد تتعدى مجرد مصالحه ومطامعه إلى استهداف أذى "**الآخر**" وإذلاله؛ تكريسًا لاستعلاء "**الأنا**" ومبالغة في حبها، وتمركزًا حول "**الذات**" التي لا يعدلها أي ذات أخرى.

ولقد بات في ضمائر مفكري الغرب وفلاسفته أن الأنانية وحب الذات من الأمور الفطرية التي لا تقبل مناقشات ولا محاورات تستجدي الموازنة والمقاربة بين الذات والآخر في تحقيق مطالب "**الأنا**" ومشتهياتها.

فكما يوجد "**أنا**" يوجد "**آخر**"، وثمة علاقة عادلة ومتوازنة يجب أن تقوم

---

(١) الغيرية البتراء، حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، محمود حيـــدر، فـــصلية الاســـتغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـــ ٨.

بينهما، ولكن هيهات! فالغرب المتعالي بالأنا والمتمسك بكافة مطالبها، لا يضع في الاعتبار تلك العلاقات المتوازنة المؤسسة على العدل وحفظ الحقوق.

ولقد انطلق الغرب في تأسيسه لتلك "**الأنا الجمعية الغربية**" من عمق إيمانه بفطرية الأنانية وحب الذات، وما يتفرع عن ذلك من محاولة التطبيق والتنفيذ – كما ذكرت –.

فقد ذهب "هوبز" إلى أن جميع الدوافع الإنسانية تهدف إلى حب الذات... وأن الإنسان أناني بطبعه، نافر بفطرته من الاجتماع بالآخر، متطلع إلى طلب الأمان وحفظ حياته وتحقيق ذاته، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه حياته، فإن غاية الأفعال الإنسانية تحددها طبيعة الإنسان ولا يمليها عقله(١).

ولا يخفى علينا مكانة "هوبز" الفكرية وتأثيره على الفكر الأوروبي وسياقات التعامل الغربي مع الآخر، يقول "سد جويك": إن في مذهب "هوبز" أصالةً وقوةً واتساقًا واضحًا كان له تأثيره في المذاهب التي أعقبته(٢).

ونجد "سارتر" يواصل تلك الرؤى **الأنانية تجاه** "**الآخر**" والتي يمثلها مذهب "**الأنا وحده**" وهو المذهب الذي لا يعترف بوجود الآخرين، وينكر إمكان الاتصال الإنساني إنكارًا مطلقًا(٣). فثمة تأصيل للأنانية الغربية وحب الذات وتلبية مطالبها، مؤسس على رؤى وأفكار مفكريها، – وكما ذكرت سابقًا – منذ تاريخها اليوناني وحتى العصر الحديث.

---

(١) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م، صـ ٢٠١، ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق، صـ ٢٠٥.

(٣) الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، د. غيضان السيد علي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ٢٧٨.

العجرفة الغربية في التعبير عن "الأنا" والإشارة لـ "الآخر":

فالتعبيرات الغربية عن "الأنا" وتصوير الاستعلاء الغربي والإشارة الدونية لـــ "**الآخر**"، غالبًا ما تأتي في سياقات متعجرفة، يعلوها قدرٌ ليس بالقليل من الغرور والتعالي والإحساس بالذاتية المتعاظمة.

حتى إن تصنيف المجموعات الاجتماعية ذات الخلفيات المهاجرة التي تعيش في بلدان أوروبا الغربية الراهنة – حتى أولئك المولودون في تلك البلاد – وتعميم توصيفهم بـــ "الآخرين والمتخلفين" هو تعزيز للإحساس الذي يميز "نحن" عن "هم"(١).

فالإحساس المتنامي والمتعجرف بـــ "**الأنا**" واستعلائها وتفوقها على "**الآخر**" أصبح صفة غير منفكة عن الثقافة الغربية في مجملها.

يقول يوسف كرم: وازداد سلطان الإنسان – الغربي – على الأرض، واتسعت السماء أمام ناظريه، فأحس من الكبرياء والطموح ما لم يحسه من قبل، والتقى هذا الإحساس في نفسه، فشعر كأنه رب نفسه، ليس فوقه رب(٢).

ويقول جارودي: إن الغرب اعتقد أنه مباح له تحديد مكانة الآخرين، والحكم عليهم لمصلحة تاريخه وغاياته وقيمه(٣). ومن ثم كانت توجهات الغرب في التعبير عن "**الأنا**" و "**الآخر**" مرتبطة إلى حدٍ كبير بتلك الاعتقادات المشبوهة

---

(١) تصور الآخر، تمييز ممأسس وعنصرية ثقافية، مسعود كمالي، ترجمة: طارق عسيلي، صـــ ١٨٤.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الـــسادسة، ١٩٧٩م، صـــ ٧، وانظر: جيفرسون، تأليف: جون ديوي، ترجمة: د. عبد الحميد يـــونس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م، صـــ ١٨٤ وما بعدها.

(٣) نقد الغربية في الفكر الاستشراقي، سمر الديوب، فصلية الاســتغراب، بيــروت، العــدد العاشر، ٢٠١٨م، صـــ ٩٠.

بتفوق "**الذات**" وأحقيته في الحكم على الآخرين.

ويقول "كازانوفا": لقد خسرت الحداثة الغربية بعضًا من غطرستها، وراحت تشكك من موقفها المتعجرف من الآخر(١). وإن كنت لا أظن ذلك؛ لأن حديث كازانوفا كان في إطار استعداد الغرب لقبول مرحلة أخرى تعتمد على التأسيس الديني بدلًا عن العلمنة التي فقدت بريقها في العقود الأخيرة.

فالغرب لا زال محتفظًا بتلك الروح الاستعلائية، وذلك النمط المتعجرف في التعبير عن الذات والآخر، بل وربما كانت تلك الروح الاستعلائية متضخمة أكثر من ذي قبل بفضل تفوقه المذهل في العلوم التجريبية الحديثة، وتأكيده لنفسه أنه المؤسس الوحيد لتلك العلوم، وأن ما أظهرته بعض الأمم الأخرى من تفوق علمي، إنما هو راجع بالأساس إلى منظومته العلمية المتأصلة في جغرافيا الغرب قديمًا وحتى العصر الحديث.

(١) الأديان العامة في العالم الحديث، خوسيه كازانوفا، ترجمة: قسم اللغات الحية بجامعة البلمند، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، صـ ٣٤٣.

﴿ المبحث الثاني ﴾

الازدراء الغربي "للآخر"، وتشويهه - خاصة الآخر المسلم -

من المؤكد أن ما ذكرته سابقًا حول "**مركزية الغرب**" وإحساسه المتضخم بـ "**الأنا والذاتية**" واستعلائه المتنامي على "**الآخر**" يُلزمنا القول بازدرائه للآخر، والعمل على تشويه صورته، والحط من شأن ثقافته وحضارته.

وليس ذلك تجنيًا أو مبالغة في الوصف، ولكن تلك شخصية الغرب المتكاملة والمتسقة مع بعضها البعض، فثمة صفات تتكاتف وتتآزر لصنع صورة متوازنة وحقيقية للغرب، فعقدة التفوق لا تفارق الشخصية الغربية في مجمل حياتها، مقرونة باحتقار "**الآخر**" وازدرائه، ومن ثم: طمس معالم نبوغه وحضارته، وتشويه صورته التاريخية المشرقة، والعمل – دائمًا – على وضعه في قالب منقوص ومبتور ومشوه!

وكان الغرب – قديمًا – ولا زال حتى العصر الحديث ينسج الأساطير حول تفوقه "العرقي" معتمدًا على بعض الأدلة المتهافتة والمتناقضة لإثبات صفائه ونقائه الجنسي عن باقي الأجناس، ومنطلقًا من تلك الفكرة إلى ترسيخ مبادئه حول التميز الغربي، وذاتيته المركزية، ومن ثم احتقار الآخر، واعتباره نسخة بشرية غير مكتملة، وغير قادرة على العطاء الحضاري.

حول الازدراء الغربي لـ "الآخر":

يقول "مارشال سالينز": أرى من بين كافة التقاليد – بما فيها الصينية – التقليد الغربي هو الأكثر احتقارًا للبشرية، وللجشع البائس الأصلي لطبيعتنا...[1].

---

(١) الطبيعة البشرية، نقد الوهم البشري حيال الذات والآخر، مارشال سالينز، ترجمة: رغد عسيران، صـ ٥٢.

فلقد بدا من صريح الصورة أن التساؤلات النقدية التي أنجزت في النصف الأول من القرن العشرين، وعلى الرغم من أنها شككت في مطلقية الحضارة الغربية وديمومتها، إلا أنها خلت على الإجمال من أي إشارة إلى الحضارات الأخرى المنافسة للحضارة الغربية، حتى أن "**توينبي**" و "**شبينغلر**" حين أعلنا عن اقتراب أجل التاريخ الغربي وموته، لم يتكلما عن أي حضارة أو حضارات في مواجهة الحضارة الغربية، ولم يكن بإمكانها بحث موضوع **(الوجود الحضاري للآخر)**، ففي نظرهما لا وجود إلا لحضارة واحدة حية ناشطة هي حضارة الغرب، وأما الحضارات الأخرى فهي **(ميتة وخامدة وساكنة)**[١].

تلك النظرة الازدرائية – حتى وهي في أعلى درجات تجردها، وتشككها في كون حضارة الغرب دائمة ومطلقة – إلا أنها لا ترى وجودًا لحضارة ما غير حضارتها الغربية، وتلك نظرة مبالغة جدًا في الازدراء والتحقير من شأن الوجود – مجرد الوجود – الحضاري لـــ "**الآخر**"، فليس ثمة تحقير من شأن الآخر أكثر وأعمق من عدم رؤيته أصلًا، وعدم الاعتراف بوجوده!

حتى – ومع الاعتراف الباهت بوجوده – فإن نُعوتًا مخيبة للآمال لا تزال بانتظاره، لا تقل احتقارًا وازدراءً عن سابقتها، مثل كون حضارة الآخر: خامدة وساكنة، بل وميتة!

وذلك لأن الغرب بتعقيداته المادية والحضارية الاستعلائية وبأنماط حياته رفض التعامل بندِّية مع "**الآخر**" وحاول أن يجرده مما اكتسبه من ثقافة وعلم وسلوك ورؤية ... وثمة أسباب ودوافع اقتصادية، وأيديولوجية، ودينية، وعلمية، ونفسية، وتاريخية[٢].

---

(١) الغيرية البتراء، حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، محمود حيدر، صـــ ٩.

(٢) نقد الغيرية في الفكر الاستشراقي، سمر الديوب، صـــ ٩٩.

وقد ذكرت – سابقًا – أن الغرب يسعى من وراء مركزيته وعدم الاعتراف بالآخر وطمس حضارته إلى مكاسب كثيرة غير مشروعة، وغير مستحقة له على الإطلاق، كتلك المطامع المادية والمعنوية والأدبية وغيرها، وعلى مدار تاريخه قديمًا ووسيطًا وحديثًا.

ونتساءل – مثلًا – عن سر تناقض **(هيجل)** حين وضع المسيحية كحد نهائي مكتمل للدين، مع أن نسقه – بحكم منهجه الجدلي – يُحتِّم عليه أن يظل مفتوحًا... لكن الانحياز الأيديولوجي – وما أقوى ضغطه على المرء – هو المسئول عن تخلي بعض الفلاسفة عن أسمى منجزاتهم العقلية من أجل بناء مذهب فلسفي منحاز، وحين ينحاز المذهب فما أكثر عثراته وتناقضاته! بهدف خدمة أغراض عقائدية تارة، وأغراض سياسية تارة أخرى(١).

وهذا ما يجعلنا دائمًا – وبكل تجرد ونزاهة وموضوعية – نضع ما أنتجه العقل الفلسفي الغربي على طاولة الشك والتردد، دونما بخس، أو عصبية، أو ازدراء.

يدل على ذلك: إسهام فيلسوف كبير مثل **(هيجل)** في تعميق صورة "التمركز الغربي" القائم على أساس التفاوت بين الغرب الأسمى والأرفع عقليًا وثقافيًا ودينيًا وعرقيًا، والعالم الآخر **(الأدنى والأوسط)** في كل ذلك، فصاغ بذلك غربًا يتربع على هرم البشرية، ولعل لهذا أثره الواضح اليوم في الأيديولوجيات الغربية الحديثة المختلفة التي تحكم العالم اليوم(٢).

---

(١) صورة الإسلام عند هيجل، نقد الفصام الفلسفي، د. محمد عثمان الخشت، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ٣٤، ٤٩.

(٢) صورة الآخر الحضاري، نقد الاستعلاء في المركزية الغربية، عامر عبد زيد الوائلي، صـ ١٤٩.

ولذلك نجد "**آرثوركو ستلر**" يقول في كتابه "**قصة نشوء معرفتنا العالمية**" المنشورة سنة ١٩٥٩م: لم يكن العرب سوى وسطاء، حفظة نقلة رواة للتراث، ولم يمتلكوا سوى قدر ضئيل من الأصالة العلمية والقدرة الإبداعية، وعندما كانوا وحدهم حراس ذلك الكنز لم يقوموا بجهد يُذكر للإفادة منه، وهم كذلك لم يُشجعوا العلم النظري، وإنها لحقيقة جديرة بالملاحظة أن ذلك الاحتكار العربي – اليهودي والذي دام قرنين أو ثلاثة قرون ظل عقيمًا(١).

حتى تلك القرون المشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية، لا يملك الغرب سوى التقليل من شأنها، واحتقار العقلية العربية والإسلامية، ونعتها بتلك الأوصاف التي تحمل الكثير من الازدراء والتهميش، بأن العرب مجرد ناقلين وحافظين للتراث الغربي، وأن جهودهم التي بذلوها لا تتمتع بأي نوعٍ من أنواع الإبداع والاحتكار، وليس فيها ما يؤهلهم لمناظرة الغرب ومساواته، أو حتى الاقتراب من مستواه العلمي والفكري، فضلًا عن كونها مجهودات رتيبة وعقيمة لا تنتج شيئًا يفيد البشرية.

حول تشويه الغرب لصورة "الآخر":

لم يضن الغرب بجهد – قليل أو كثير – في محاولاته المستمرة والمتنوعة لتشويه صورة "**الآخر**" وخاصة "**الآخر المسلم**"، فهذا أمر مستقر وثابت في الوجدان الغربي منذ قدم تاريخ الإسلام وحتى الآن.

فلا يترك الغرب فرصة لتشويه "**الآخر**" إلا واستغلها وانتفع بها على أقصى حدٍ لها، خاصة التي تعتمد في تشويه **الآخر** على تأصيله "العرقي" المزعوم، وقد سبق الحديث عنه مفصلًا.

ومع اعتماد الغرب في تشويهه لصورة "**الآخر**" على بعض النظريات ذات

---

(١) الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة، صـ ٧١.

الطابع العرقي، إلا أنه اعتمد أيضًا – وبوفرة – على افتراءات وأكاذيب العقول الاستشراقية المغرضة.

ومن الجدير بالذكر – دائمًا – أن الغرب قد كثف معظم جهوده في تشويه "**الآخر**" على "**الآخر** المسلم" **لأمرين؛ أحدهما:** أن الإسلام كدين وحضارة وتاريخ يجب أن يُحسب له ألف حساب، وأن يُوضع في مكانه اللائق به **(كقوة عقائدية خطيرة ومعادية لا يُستهان بها)، وثانيهما:** أن الأمم والحضارات الأخرى غير الإسلامية لا تشكل لدى الغرب سوى كونها **(قوى مادية)** تنتهي بانتهاء تلك القوة.

ومن هنا أخذ الغرب على عاتقه أن يُكرس معظم مجهوداته لتشويه وتحطيم ذلك العملاق العظيم الذي يشكل معظم موارد الخطر على الغرب وثقافته وفلسفته، بل ودينه أيضًا.

وصورة "المسلم" في الإعلام الأوروبي يرجع تاريخها إلى تراث الحروب الصليبية، حيث جعل الكهنة والرهبان في الأديرة يرسمون صورة مشوهة لـــ "**الآخر**" وينسبونها للكتاب المقدس[1]، حتى يبرروا قيام تلك الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي **(عقديًا)**، فضلًا عن تبرير النفقات الهائلة والخسائر الفادحة من الأنفس والأموال، والتي تكبدتها الأمم الأوروبية خلال تلك الحقبة الزمنية، ولا شك أن من يدفع هذه الخسائر فعليًا هي تلك القاعدة العريضة من الشعوب الأوروبية الواقعة تحت سطوة طبقة الكهنة والنبلاء **(المستفيدين الحقيقيين)** من هذا التشويه للآخر المسلم، حتى يستقر الغرب على تلك الكراهية، وتستمر الحروب الطاحنة بين الطرفين، ويُحجب الإسلام بمبادئه العليا

---

(١) الإسلام في أمريكا، د. حسان حتحوت وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠٠٣م، صـ ٤٧.

من (**العدل والحرية والمساواة وحق الآخر**) عن تلك القاعدة الأوروبية العريضة، وتستمر الطبقة الحاكمة من الملوك والنبلاء والكهنة في سيطرتها على زمام الأمور، وتمتعها بخيرات وثروات البلاد وحدها.

ويرى البعض أن التشويه للإسلام من قِبل الغرب الأوروبي قد نشأ مبكرًا، ومع ظهور نجم الإسلام في القرن الأول الهجري حيث بدأ الغرب مسيرته الطويلة الممتدة منذ ذلك الحين وحتى الآن في تشويه الإسلام والمسلمين ونبي الإسلام (ﷺ).

فقد نشأ اللاهوتيون الأوروبيون في ذلك الوقت المبكر ضد الإسلام، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه (ﷺ)، وزعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن نبيه (ﷺ) ليس إلا صنمًا، أو إله قبيلة، أو شيطانًا، وغزت الأساطير والخرافات خيال الكتَّاب اللاتينيين، ولم يكن الهدف عرض صورة موضوعية عن الإسلام، بل إن هناك حكايات في وصف الإسلام مغرقة في الضلال اخترعها الكتَّاب في ذلك العصر(١). ولا زالت جهود التشويه تلك مستمرة بطريقة ممنهجة ومرتبة حتى الآن، وعلى مدار الأربعة عشر قرنًا (**الممثلة لعمر الإسلام كاملًا**)، فترمي أيديولوجية الإسلام بالقصور، وأمة العرب التي حملت لواء الإسلام ونشَرته في العالم بالنقص(٢).

يقول "موريس بوكاي": المعطيات (**الصحيحة**) الخاصة بالإسلام مجهولة تمامًا في الغرب، ولا يدهشنا طريقة تثقيف الأجيال، وكيف فُرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإسلام، ولا زالت مسميات مثل (**الدين المحمدي**)، و (**المحمديون**)

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م صـ ٢١.

(٢) الإسلام في أربعة عشر قرنًا، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨١م صـ ١٥.

سائدة حتى اليوم... وهناك بعض أوساط تحتقر المسلمين، وترفض النظر بعين الاعتبار إلى القرآن الكريم(١).

وكل ذلك من أجل حصر الإسلام والمسلمين في دائرة الأديان الوضعية غير المؤسسة على الوحي السماوي؛ ليحجب عن الإسلام أهم خصائصه الممثلة في سماوية المصدر وعصمة الوحي، حتى يسهل على الغربيين تصديق أن المسلمين عبارة عن جماعة متمردة خارجة عن الإطار الحضاري، وتتسم بالعنف والوحشية، وتنتهج السطو على الأمم الأخرى ونهب خيراتها وثرواتها.

يقول "مكسيم رودنسون": لقد صوَّر الأوروبيون الذي أحدثه ظهور الإسلام في الشرق باعتباره تحولًا حدث في القوى وفي الأقسام البعيدة عن الشرق، عندما قام شعب هائج **(العرب)** عُرف بالسلب والنهب، وهو علاوة على ذلك غير مسيحي، فاجتاح وخرَّب أراضي واسعة وانتزعها من قبضة المسيحية(٢).

ويقول "كيمون" في كتابه "ميثولوجيا الإسلام": إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض مروع وشلل عام، وجنون ذهني يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء ويدمن الخمور...(٣).

ويقول "جولد زيهر": فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا من معارف وآراء دينية، عرفها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثَّر بها

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، د. موريس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م، صـ ١٠ - بتصرف.

(٢) الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة، صـ ٦٣.

(٣) افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، صـ ٥.

تأثُّرًا عميقًا، ورآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه(١).

ويقول "جون ستوارت مل": المسيحية ديانة الجزء التقدمي من البشر، في حين كانت البرهمية والإسلام أديان الأجزاء الجامدة والمنهارة...(٢). ويقول أيضًا: مبدأ تعدد الزوجات رغم تسامحنا فيه مع المسلمين والهندوس والصينية إنما يوغر صدورنا عندما يعمل به أناس مسيحيون يتكلمون الإنجليزية(٣).

إن أمثال كيمون، وزيهر، وستوارت مل، وغيرهم – قديمًا وحديثًا – هم من قاموا برسم صورة الإسلام المفتراة عند الغرب، والتي تتمتع بقدر كبير من المصداقية عند الشعوب الغربية، ظنًا منهم أن أمثال هؤلاء الصفوة من الفلاسفة ورجال الدين والمستشرقين بمنأى كبير عن الكذب والتضليل، وأنهم يمثلون القيادة الفكرية والروحية للغرب عمومًا، فليس ثمة شك أوروبية فيما استقر عليه هؤلاء من نعت الإسلام والمسلمين ونبيهم (ﷺ) من صفات الوحشية والسلب والنهب وسفك الدماء، فضلًا عن كونها ديانة أرضية محمدية لا تمُتُّ لوحي السماء بأدنى صلة.

وهكذا استقر في الوجدان الغربي صورة "**الآخر**" المسلم على هذا النحو من الظلمة، والقتامة، والتخلف، والرجعية، الأمر الذي رسَّخ في نفوس الغربيين هواجس الاحتقار والازدراء لكل ما هو (عربي إسلامي)، بل والخوف منه أيضًا!

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الشيخ: محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٢م، صـ ١٦.

(٢) استعباد النساء، جون ستوات مل، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، صـ ٢٠.

(٣) عن الحرية، جون ستيوارت مل، ترجمة: عبد الكريم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، صـ ١٩٢.

﴿ المبحث الثالث ﴾

الخوف الغربي من "الآخر" - خاصة الآخر المسلم -

ربما كان العمل الغربي على تعظيم "**الأنا**" و "**مركزية الذات**" و "**ازدراء وتشويه الآخر**" منطقيًا ومتوافقًا مع أطماعه وأهدافه السياسية والدينية والاقتصادية والنفسية التي أشرت إليها، ولكن ثمة قضية مختلفة أخرى تبدو – ولأول وهلة – غير منطقية، وغير مقنعة لمن يعرف الغرب، وفلسفته، وأهدافه، ودوافعه!

تلك هي مسألة "**الخوف من الآخر**"؛ فكيف يكون الغرب على هذا القدر من الخيلاء وتعاظم الذات وازدراء الآخر، ومع ذلك فهو يحوي بين جنباته خوفًا من هذا "**الآخر**" الذي يعدُّه ضئيلًا ومتهافتًا ومهمشًا؟!

قد يبدو هذا عجيبًا ومدهشًا عند النظر نظرة عابرة وسطحية، ولكن – وعند التدقيق – يبدو الأمر طبيعيًا ومنطقيًا ومتناسقًا ومتوازنًا مع تلك الصفات الغربية المعروفة من ذي قبل.

فإن الغرب – وهو يصنف البشرية تصنيفًا هرميًا عرقيًا – يبدو أنه غير مقتنع بهذه النظريات – التي ثبت بطلانها – تمام الاقتناع، وأنه مع حرصه الشديد على إقرار وتثبيت هذه الأباطيل – من أجل مركزيته وسيطرته على الآخر وتحقيق مصالحه – إلا أنه لا يستقر على الإيمان ورسوخ الاعتقاد بشأنها.

والنتيجة الحتمية الحقيقية المتفقة مع العقل ومنطقية الأحداث: أن الغرب يُظهر أشياءً كثيرة لا يؤمن بها، بل ويعمل على دعم استقرارها وتأكيدها، لا من أجل الطُرفة والمزحة، أو الشغف العقلي والتلاعب بالآخرين، ولكن – وكما ثبت سابقًا – من أجل تحقيق غاياته وأهدافه وأطماعه المختلفة.

فلا يبقى سوى أن "**الآخر**" – شاء الغرب أم أبى – موجود ومغاير للغرب بأرضه وممتلكاته وثقافته وفلسفته وحضارته ومعتقده وطقوس حياته وشرائعه وأخلاقه وصفاته...

وليس هناك ما يدل على الأمان من خطره وسطوته – خاصة مع اعتداء الغرب وظلمه له دائمًا – إذًا يجب الخوف من هذا "**الآخر**".

فالغرب لم ينسَ يومًا أن معاملاته مع هذا "**الآخر**" كانت ولا زالت مبنية على العداوة والاحتقار له، والاعتداء عليه وسلبه ثرواته وممتلكاته، كلما تمكن من ذلك.

وبناءً على ذلك: **يبدو الخوف الغربي من "الآخر" منطقيًا لأبعد الحدود.**

ولا بد من الإشارة إلى أن ممارسات الغرب التاريخية مع "**الآخر**" كانت دائمًا مشحونة بالصراع والتنافس، بل والتكالب على تحقيق المنافع، مما رسخ الاعتقاد بأن "**الآخر**" عدو حقيقي يجب الخوف منه، والحرص الشديد في معاملته والاقتراب منه!

فحين توصل "جان بول سارتر" إلى قوله المشهور: "الآخر هو الجحيم" لم يكن قوله هنا مجرد حكم يصدره على آخر أراد أن يسلبه حريته أو علة وجوده، وإنما استظهر ما هو مخبوء في أعماق الذات الغربية، فلا موضع للحديث عن محبة أو مشاركة أو تآزر بين الذوات؛ لأن حضور الذات أمام الغير هو بمثابة سقوط أصلي، ولأن الخطيئة ليست سوى ظهوري في عالم فيه "الآخرون"... ولأن الغرب مشحون بالخوف على الذات من "**الآخر**" إلى هذا الحد، فلن يقوم إلا بمحو "**الآخر**" أو إفنائه، سواءً كان محورًا رمزيًا، أو عبر حروب إبادة للآخر لا هوادة فيها[1].

---

(١) الغيرية البتراء، حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، محمود حيدر، صـــ ٩.

يقول "**سارتر**" **أيضًا:** إن الغير هو الموت المستور لإمكانياتي، من حيث أني أعيش هذا الموت بوصفه مختبئًا في العالم(١).

تلك هي فلسفة "سارتر" والتي أثرت بشكل كبير في الثقافة الغربية، من حيث إرساء مبدأ الخوف من "**الآخر**"، وتلك هي رؤيته في التعامل مع "**الآخر**" باعتباره "جحيمًا" لا يفكر بشيء سوى سلبك حياتك، ووجودك، أو على أقل تقدير سلبك حريتك وما تملك!

إن عبارات كتلك التي تفوَّه بها "**سارتر**": "**الآخر هو الجحيم**"، "**الغير هو الموت**" لتدل أوثق دلالة على مدى عمق وتأصل الخوف من الآخر في وجدان الغرب وثقافته، بل إن ممارسات الغرب تجاه الآخر – وعبر تاريخه – لتؤكد أشد التأكيد على هذا المعنى وتؤصله تاريخيًا وواقعيًا.

يقول "**مارشال سالينز**": كتب "**جون آدمز**" اليافع في العام ١٧٦٣م بحثًا بعنوان: "الناس كلهم طاغية إذا استطاعوا ذلك"، وأعاد صياغته عام ١٨٠٧م، ليأخذ الخاتمة: كل أشكال الديمقراطية، وكافة القيم الأخلاقية، والقدرات الفكرية، والجمال، والفن، والعلوم، كلها عاجزة أمام الرغبات الأنانية الصاخبة في قلوب الناس، والتي تولد الطغيان... ويقول "كانط": "الإنسان حيوان بحاجة إلى سيد"(٢).

ويقول "**هوبز**": الإنسان إذا همَّ برحلة سلح نفسه، وإذا أسلم عينيه للنوم أغلق

---

(١) الوجود والعدم، سارتر، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، صـ ٤٢٦، نقلًا عن: الغير بين سارتر وبوحديبه، د. محمد سيد عيد، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م، صـ ٢٠٣.

(٢) الطبيعة البشرية، نقد الوهم الغربي حيال الذات والآخر، مارشال سالينز، ترجمة: رغد عسيران، صـ ٥٢، ٥٨.

أبوابه، وحتى إذا استقر في البيت أغلق دواليبه، وهو يفعل هذا كله مع علمه بأن هناك قوانين وضعت لحمايته، وحراسًا مزودين بالسلاح ليثأروا من كل من يريد إيذاءه(١).

ويقول "جون ديوي": لا أكاد أذكر أسرة حيوانية تعمل بصفة مستمرة على تدمير أعضائها مثل أسرة البشر، أما ذلك الشيء الذي نسميه حضارة فان يفلح بأي تأثير سوى مبدأ **(حرب الجميع في كل الحروب)**، وإذا قورن الإنسان في هدمه وتخريبه بالأسود والنمور، كان عملاقًا إلى جانب حملان(٢).

فليس "**سارتر**" وحده هو من يتبنى تلك الأفكار المغرقة في الخوف من الآخر، وليس هو وحده المؤثر في وجدان الغرب وثقافته حيال "**الآخر**"، بل إن أكثر مفكري الغرب وفلاسفته على هذا النحو من **هيستيريا الخوف من الآخر**، وترقب عدوانه، وانتظار هجومه بين الحين والآخر!

وما ذكره "**جون آدمز**" و "**كانط**" و "**هوبز**" و "**جون ديوي**" من عبارات مثل: "**الناس كلهم طاغية**"، و "**الإنسان حيوان بحاجة إلى سيد**"، و "**حرب الجميع في كل الحروب**" وغيرها ليست بأخف وطأة من عبارات "**سارتر**"، وما ذكره هذا وهؤلاء ليمثل بوضوح مدى رسوخ تلك الأفكار التي تحمل الغرب دائمًا – وبكل قناعة – على التخوف والحرص الشديد من "**الآخر**".

إنه – وكما أشرت سابقًا – لا يمكن للغرب أن يتعافى من مرضه العضال، والمتمثل في **(هيستيريا الخوف من الآخر)**، إلا **بأمرين: الأول:** أن يتخلى عن جميع المعطيات الفكرية التي بنى عليها هذا التخوف، ومحاولة الاعتماد على معطيات فكرية أخرى تعزز من ثقافة الاحترام المتبادل والوثوق بالآخر،

---

(١) فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويل، صـ ٢٠٢.

(٢) جيفرسون، تأليف: جون ديوي، ترجمة: د. عبد الحميد يونس، صـ ١٩٠.

والثاني: تغيير سياساته المتبعة تجاه "**الآخر**" والتي بناها على فلسفة السلب والنهب والتخريب والتشويه، واستبدالها بأخرى تحمله على الاعتراف بالغيرية(*)[1] واحترام حقوق الآخر.

ولكن ثمة غاية بعيدة المنال، بل إنها لتعد من جملة المستحيلات، فالغرب – ومنذ تاريخه القديم – قد استقر على تلك المعتقدات من تعظيم الذات، وازدراء الآخر، والعمل دائمًا على سلبه مادياته وأدبياته، بل وتشويهه وتهميشه، فأنى لنا أن نطالبه بمحو (عقدة الخوف من الآخر)؟!

الخوف الغربي من الآخر المسلم:

لا شك أن خوف الغرب من الإسلام يمثل أعلى منظومته الهرمية في (**الخوف من الآخر**)، وليست أمة من الأمم بقادرة على مضاهاة أمة الإسلام في خوف الغرب منها، وليس ذلك بالأمر الذاتي في الغرب، بل إنه أمر ذاتي في الإسلام نفسه!

(*) **الغيرية:** مشتقة من الغير، أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز. (المعجم الفلسفي، مراد وهبة، صـ ٥٠١)، والغير هو كون كل من الشيئين خلاف الآخر، ولفظ (الغير) مقابل (الأنا) فكل ما كان موجودًا خارج الذات المدركة أو مستقلًا عنها، كان غيرها، ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج (الأنا) اسم (اللأنا) أو (الآخر)، والغيرية عند المحدثين: هي الإيثار، وهي مقابلة للأنانية، وتطلق في علم النفس: على الميل الطبيعي إلى الغير، وفي علم الأخلاق: على القول بوجوب تضحية المرء بمصالحه الخاصة في سبيل الآخرين. (المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، جـ ٢، صـ ١٣٠). والغيرية مصطلح ابتكره كونت مقابل (أنانية)، وتبناه سبنسر، وصار متداولًا في اللغة الفلسفية، والغيرية: نظرية الخير التي تصنع في منطلقها مصلحة نظرائنا كهدف للمسلك الأخلاقي. (موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، جـ ١، صـ ٤٧).

فثمة قوة عقائدية وروحانية ذاتية في تكوين الإسلام، تأخذ بألباب وقلوب كل من عرفه معرفة صحيحة، بعيدة عن مغالطات الغرب وتشويهه له، وما من عقيدة أو مذهب أو اتجاه فكري، أو فلسفة تساوي أو تقترب – ولو من بعيد – بقدر يسير من اتساق وتناغم وتناسق وتوازن منظومة التشريعات والأخلاق الإسلامية، فضلًا عن عقيدته الصحيحة، الخالية من أي وجهٍ من وجوه النقص أو التناقض أو البطلان، والثابتة عبر أصولها السماوية عن طريق الوحي المعصوم المنزل على أشرف وأكرم وأفضل خلق الله قاطبة سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله (ﷺ).

مع الأخذ في الاعتبار أن تحريفات لا تُعَدُّ، وتناقضاتٍ ليست بالقليلة، قد نُعتت بها الديانة الرسمية والأساسية للغرب، فضلًا عن مخالفات أصولها لنتائج العلوم التجريبية الحديثة، والتي تفاخر بها الغرب ردحًا من الزمن – ولا زال – ، مما جعل غالبية الغرب يتخذون موقفًا باهتًا يتسم بالشك والنفور من معتقداتهم التي ورثوها!

وليست النزعة **(الإلحادية)** و **(اللادينية)** بأحسن حالًا من تلك المعتقدات الأساسية، فالملحدون واللادينيون الغربيون ليسوا على قناعة وثبات من أمرهم، وإنما ثمة تشكك كبير وحرص أكبر منه على معرفة الحقيقة العقدية المطلقة، ومعرفة الخالق والمخلوق، ومعرفة الغاية والمصير.

فإنه وإن كان الخوف الغربي من الإسلام قديمًا – قدم الإسلام ذاته – فإن هذا الخوف قد زاد كثيرًا في العصر الحديث، خاصة مع استنارة العقل الغربي بما حققه من تقدم مذهل في علومه التجريبية الحديثة، وتخلصه النهائي من سيطرة الأفكار الكهنوتية التي فُرضت عليه فرضًا خلال عصوره الوسطى المظلمة.

فبعد هذه المكتسبات التي حققها العقل الغربي – مع الأخذ في الاعتبار –

نُفوق لاهوتيته نُفوقًا عامًا – هل يمكن له أن يتلمس تدينًا يحقق له مطالبه العقائدية والروحية غير تدينه بالإسلام؟!

هل يتلمس ذلك في البوذية، أو الهندوسية، أو حتى اليهودية؟!

لا شك أن الإسلام قد فرض نفسه بقوته الذاتية – التي ذكرتها آنفًا – على الساحة الغربية، ودون استئذان من أي أحد، بل ودون استئذان من المسلمين أنفسهم!

وذلك الأمر هو ما يؤرق الغرب، ويزلزل مضجعه، ويجعله في حالة تأهب مستمر، وخوف دائم من ذلك العملاق الذي يوشك أن ينتزع الغرب من نفسه انتزاعًا.

يقول أحد الباحثين: إن الهدف السياسي الراهن من الكتابة عن الإسلام في الغرب، هو سد الأبواب الفكرية أولًا على الإنسان الغربي نفسه حتى لا يرى في ظهور الإسلام على حقيقته ملجأً له من واقع التمزق الفكري والعقدي والاجتماعي، إنهم يطمعون في عرض صورة مشوهة عن الإسلام للإنسان الغربي حتى يخدعوا الغربيين المتطلعين إلى الإسلام(١). ولقد صرح مسئول فرنسي دبلوماسي عام ١٩٥٢م أن الشيوعية ليست خطرًا على أوروبا، ولكن ثمة خطرًا حضاريًا يهدد وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء، ذلك هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون مستقلون عنا، ويمتلكون تراثًا روحيًا وحضارة ذات أصالة، فهم جديرون ببناء عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب(٢).

ويقول "رودني ستارك": لا يحتاج المراقب صاحب أدنى خلفية عن الدول

---

(١) ترشيد الفكر الإسلامي، أنور الجندي، صـ ٩٢.

(٢) معالم تاريخ الإسلام المعاصر، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٧م صـ ١١٥.

الإسلامية إلى بيانات كهذه ليرى الحيوية المتفجرة التي يتمتع بها الإسلام في عصرنا(١).

وغير هؤلاء كثيرون من مفكري الغرب وساسته وفلاسفته الذين تحدثوا – وبكل اهتمام – عن الخطر الحقيقي الذي يحيق بالغرب، وهو الإسلام الذي ينتشر انتشارًا سريعًا، ودون مجهود يُذكر من أبنائه، إنه ينتشر بقوته الذاتية فقط، وهذا ما يزيد الأمر خطورة.

إن الغرب كان ولا زال – قديمًا وحديثًا – يخاف أشد الخوف من الإسلام؛ لأنه يعلم تمام العلم أن النتائج ليست باليسيرة، إنها ستكون عبارة عن تغيير جذري للمجتمع الغربي في أهم جوانبه: الدين، والأخلاق، والسلوك!

ولذلك عَمَدَ الغرب – ومنذ ظهور الإسلام – إلى تشويه الصورة الحقيقية للإسلام، وتعمد نسج الافتراءات والأكاذيب حوله، حتى تستقر تلك الصورة القبيحة عن الإسلام راسخة في الوجدان والعقل الغربي.

فقد رأينا الغرب – بكل دوائره الفكرية – يعلن أن العدو لحضارته – بعد انهيار الشيوعية – هو الإسلام؛ لأن الحضارة الإسلامية المستعصية على العلمانية هي التحدي الوحيد لهيمنة الحضارة الغربية على العالم(٢).

ونُظر إلى الإسلام في أمريكا كحضارة معادية بربرية ضد الديمقراطية وحرية الفرد وحقوق الإنسان.. وأظهرت الدراسات أن معظم الأمريكيين ينظرون إلى العرب على أنهم أغنياء جدًا، وبلا أخلاق، وبدويون

---

(١) فلترقدي بسلام أيتها العلمنة، رودني ستارك، ترجمة: رامي طوقان، صـ ٦٨.

(٢) الغارة الجديدة على الإسلام، د. محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، صـ ٢١١، وانظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين، د. محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، صـ ٣٩٣.

صحراويون،... ومعظم الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين متطرفون دينيًا، وأن الإسلام في أساسه ضد الديمقراطية،... ونجد في قلب الفكر الأمريكي أن الإسلام ليس فقط مصدرًا للخوف بسبب التطرف، ولكن أيضًا لأنه يخلط بين الدين والسياسة... والإسلام يحاول إعادة هيكلة الحياة الأمريكية بأسلوب مختلف يهدد حضارتهم(١).

هكذا – وأبشع من ذلك بكثير – أثر الخوف الغربي من "**الآخر الإسلامي**" أثرًا سلبيًا في تشكيل صورة مكذوبة ومشوهة عن الإسلام والمسلمين، حتى لا يدع مجالًا لتغلغل العقيدة الإسلامية بين جنبات الصرح الغربي المتهالك.

(١) الإسلام في أمريكا، د. حسان حتحوت وآخرون، صـ ٥٣، ٥٤.

المبحث الرابع

مدى التأثير الفلسفي على الغرب في تشكيل منظومة (الأنا والآخر)

لكل أمة من الأمم فلاسفتها ومفكروها وقادتها المختلفون عن فلاسفة ومفكري وقادة الأمم الأخرى، والتاريخ البشري بأكمله خير شاهد على ذلك، والغرب – مع اختلاف طبائعهم ولغاتهم وسياساتهم – إلا أنهم متفقون – في الغالب – على نظرتهم وتعاملاتهم مع "**الآخر**".

فثمة تشابه كبير بين تعاملات الغربيين – على اختلاف مشاربهم – مع "**الآخر**" غير الغربي، وثمة تشابه كبير أيضًا بين غالبية فلاسفتهم ومفكريهم في إرساء مبادئ غربية خالصة تجاه "**الآخر**" غير الغربي، مثل: الذاتية الغربية، ومركزية الغرب، ولا شيئية الآخر... إلخ.

ولا بد من الإشارة إلى أن بعض فلاسفة الغرب قد أعلى من قيمة "الغيرية" وسعى نحو تحقيق مبادئ ومُثل تحترم "**الآخر**" وتعترف بخصوصيته وثقافته وفلسفته المختلفة عن غيره، وتعمل على إرساء وتدعيم حقوق الآخر، والنظر إلى منجزاته المادية والعقلية بعين الموضوعية والحياد.

ولكن – وللأسف – فقد باتت تلك الجهود مجرد تنظيرات ومُثل أفلاطونية عليا، حبيسة السطور والصفحات التي كُتبت عليها، وليس لها أي تأثير يُذكر أمام هذا الجرف الهائل الناتج عن فلسفة الغالبية الغارقة في الأنانية والنفعية واحتقار الآخر!

والغرب قد اعتمد فلسفة الغالبية (**فلسفة الأنانية والمنفعة**) مبدأً عامًا في حياته مع "**الآخر**"؛ ليحقق التوازن والتناسق بين جنبات تلك الشخصية الغربية القائمة على تحقيق مصالحها ومطامعها، وليس أمامه أدنى فرصة لاعتماد فلسفة

"**الغيرية**" حتى لا يُحدث خللًا عظيمًا وتناقضًا جسيمًا بين أفكاره وممارساته، وإن كان هناك من يتشدق بـــ **(الغيرية والآخرية)** بين الحين والآخر، فليست سوى تنظيرات فارغة، وتعبيرات جوفاء لا تمت للواقع بأدنى صلة.

يقول أحد الباحثين: العلاقة التي سادت الفكر الغربي هي علاقة الأنانية والإطاحة بالغير، بينما كان إفساح مكان للآخر والتكامل معه هو الاستثناء، ولم يكن سوى ردود أفعال على توحش الأنا وقسوتها تجاه الآخر... لتتجلى في النهاية دعوات "الغيرية" عند أصحابها من أمثال: جول سيمون، وأوجست كونت، وليفيناس، كمشاريع فكرية وهمية لا وجود لها على أرض الواقع الفعلي(١).

تلك الكتابات الغربية الداعمة لمفهوم "الغيرية" على ندرتها، فضلًا عن كونها ردود أفعال للفلسفة العامة الغربية المفعمة بالتسلط والنفعية ونبذ الآخر، إلا أنها قد توارت بعيدًا عن الأنظار، ولم تأخذ حظها من التأثير على المجتمعات الغربية **(شعوبًا وحكومات)** على السواء.

فالحضارة الغربية الحديثة تقوم على أساس من الفكر الفلسفي، وهو في جملته فكر مادي، نتج عنه بعد ذلك مذهب "**البراجماتز**م" في أمريكا، وهو المذهب الذي ساد الفكر الأمريكي منذ القرن الماضي، ولئن بقي في الغرب أثارة من دين وسط التيار المادي العارم، فإنها غلالة رقيقة لا نحسب أنها ستصمد طويلًا(٢).

---

(١) الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، د. غيضان السيد علي، صـ ٢٨٣.

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، المنصورة، مطر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، صـ ١٣.

إنها لم تصمد بالفعل أمام تلك القوة الهائلة لجرف التيار العام – والمُعترف به من الغالبية الساحقة للغرب – الممتلئ بالفلسفات المادية والنفعية العتيقة.

يقول "برتراند رسل": لست بمستطيع أن تفهم عصرًا من العصور، أو أمة من الأمم، إلا إذا فهمت فلسفتها، وهاهنا ترى سببية متبادلة بين الطرفين، فظروف الحياة التي يحياها الناس لها أثرها البالغ في تكوين فلسفتهم، والعكس صحيح، وهو أن فلسفتهم تؤثر أثرًا بالغًا في ظروف حياتهم، وهذا التفاعل الذي امتد ما امتدت القرون(١).

ولا يخفى أهمية هذا الكلام من أحد أبرز فلاسفة الغرب المحدثين، فضلًا عن كونه أحد أبرز مؤرخي الفلسفة الغربية أيضًا، وقد كتب هذا الكلام في مقدمة كتابه عن تاريخ فلسفة الغرب، مما يشير إلى مدى التأثير الفلسفي في المجتمع الغربي عمومًا، وحتى مع الوضع في الاعتبار من كونه تأثيرا متبادلًا.

كما لا يخفى أيضًا: التأثير الهائل للفكر الفلسفي **(المفعم بحب الذات وجلب أكبر قدر من المنافع ونهج مبدأ المغالبة على تحقيق المصالح)**، في تعاملات الأمم الغربية مع بعضها البعض.

"فقد قيل أن دعوة نيتشه إلى القوة والقتال والبطش بالضعفاء، كانت من مصوغات الحرب العالمية الأولى، وهكذا كان للقيم التي رسمها هؤلاء الفلاسفة أثرها الغلاب على مجرى الأحداث العالمية"(٢).

وهل كانت الحملات الصليبية وممارسات الاستعمار تجاه "**الآخر**" إلا نتاجًا

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م، جـ ١، صـ ٦.

(٢) فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويل، صـ ٥١٩.

حقيقيًا للتأثير الفلسفي والاستشراقي – وهو في مضمونه فلسفي أيضًا – على صانعي القرار في الغرب؟!

ولسنا بحاجة إلى استبعاد التأثير الفلسفي في تكوين الأمم تاريخيًا، ونحن نعلم أن ثمة مكونين رئيسيين لأي أمة: **(الفكر والمادة)**، ولا شك أن تأثير الفكر على المادة أبلغ وأعمق بكثير من العكس، وأن التكوين الأساسي للفكر، إنما هو صنيعة فلاسفة الأمة ومفكريها.

*** ولنأخذ بعض الأمثلة من خلال فلاسفتهم:**

– توماس هوبز ١٥٨٨ – ١٦٧٩م:

يعد هوبز من أكثر الشخصيات الفلسفية تأثيرًا على الفكر الغربي خلال القرن السابع عشر، وحتى الآن، فقد كانت مبادئ **(النفعية والأنانية ونبذ الآخر وحب الذات)** هي الأبرز في فلسفة هوبز، وكأن فلسفته هذه قد صادفت قبولًا عظيمًا عند الأوروبيين عمومًا، لتوافقها الكبير مع الشخصية الأوروبية المؤسسة على حب الذات والأنانية.

فقد كان لفلسفة هوبز الأثر العظيم على معظم التيارات الفكرية التي تلته، حيث صدرت عنه الاتجاهات الفلسفية الحديثة في الأخلاق في المرحلة المتقدمة من العصور الحديثة، حتى قيل إن النظرية الأخلاقية الحديثة قد بدأت على وجه الدقة مع بزوغ فلسفة هوبز[١].

وقد كانت عبارات وتصريحات هوبز الأنانية والنفعية من جانب، والمستوحشة لـــ "**الآخر**" من جانب آخر، مصدرًا ملهمًا لتشكيل الفكر الغربي لمنظومة "**الآخر**" وكيفية معاملته.

---

(١) تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، د. محمد مهران رشوان، دار قباء، القـــاهرة، ١٩٩٨م، صـــ ١٣٠ – بتصرف.

يقول هوبز: الإنسان إذا همَّ برحلة سلح نفسه، وإذا أسلم عينيه للنوم أغلق أبوابه، وحتى إذا استقر في البيت أغلق دواليبه، وهو يفعل هذا كله مع علمه بأن هناك قوانين وضعت لحمايته، وحراسًا مسلحين لرد الأذى عنه... وهكذا بدا الإنسان عند هوبز ذئبًا لأخيه الإنسان، لا يتردد في الاعتداء على الضعيف واغتصاب ما يملك(١).

وهو وإن أعوزته القوة لتحقيق مآربه، لجأ إلى الحيلة والخداع والدهاء، وإذا كان الإنسان بهذا الشكل أناني بطبعه، نافر بفطرته من الآخرين، متطلع لإشباع غريزته في حب البقاء وتحقيق الذات والمنفعة، فمن الخطأ مقاومة هذه الطبيعة(٢).

وإذا كانت فلسفة هوبز مثقلة بتلك العدائية والتخوف من "**الآخر**"؛ فمن أين تأتي بوادر الغيرية والمودة والإخاء؟!

إن تلك المصطلحات الأخيرة لا تجد لنفسها مكانًا – ولو كان متواضعًا – في فلسفة هوبز، بل إن غاية ما يقرره هوبز هو وضع "**الآخر**" موضع الذئب المتربص بفريسته، فإن لم تستطع القضاء عليه، فلا تنتظر سوى الهلاك!

---

(١) فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويل، صـ ٢٠٢. وانظر: المجتمع المدني عند هوبز وجون لوك، د. فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، صـ ٤٣، ٤٥، ٤٦.

(٢) الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، د. حمدي عبد العال، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م، صـ ٧٩. وانظر: دراسات في فلسفة الأخلاق، د. محمد عبد الستار نصار، دار العلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، صـ١٥٦، واتجاهات فلسفة الأخلاق، د. يسري إبراهيم، صـ ١٠١، وتاريخ الأخلاق، د. محمد يوسف موسى، صـ ٢٥٢.

- **هيجل ١٧٧٠ - ١٨٣١م:**

ليس هيجل بأسعد حظًا من هوبز في رؤيته لـــ "**الآخر**"، وخاصة "**المسلمين**"، بل إن هوبز كان متسقًا ومتوازنًا مع مذهبه، مفصحًا عن أنانيته ونفعيته في كل تفاصيل فلسفته، بخلاف هيجل فإنه يبدو متناقضًا في كثير من الأحوال، وقد ذكرت - سابقًا - أنه يقع تحت ضغط أيديولوجي في بعض أفكاره فيظهر متناقضًا ومغرضًا.

ومع ذلك فإن هيجل قد أفلح في إقامة فلسفة فسيحة الأرجاء، رفيعة العماد، قائمة على فكرة رئيسية واحدة، مطبقة بمنهج واحد، وإن تأثيره كان عميقًا في جميع النواحي، في الفلسفة الخالصة، والفقه، والسياسة، والأخلاق، والدين، والفن، والتاريخ(١).

وقد كان لذلك أثرًا سيئًا بالنسبة لـــ "**الآخر**" المسلم، فقد كان هيجل يتعمد تهميش الإسلام عمومًا، فليست عقيدة تستحق الدراسة، ولا حضارة أو ثقافة تؤثر في حضارة البشرية من وجهة نظره.

وتعد صورة الإسلام عند هيجل عينة لصورته عند الغرب عامة، والتي يغلب عليها طابع الانحياز وعدم الدقة، والافتقار غالبًا للموضوعية العلمية، فحالة هيجل تحدد بدرجة كبيرة كثيرًا من ملامح الصورة المتشكلة بعد ذلك في الوعي الأوروبي،... إن تجاهل هيجل للإسلام في فلسفة الدين، وعرضه كشيء هامشي في فلسفة التاريخ، يعكس روح التعصب الأوروبي تجاه الإسلام بوصفه "معتقد الآخر"(٢).

إن هيجل قد اضطر للانقلاب على مبادئ فلسفته "**فسيحة الأرجاء**" والتي لا

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، صـــ ٢٨٦.

(٢) صورة الإسلام عند هيجل، د. محمد عثمان الخشت، صـــ ٤٢، ٤٤.

تغلق بابًا أمام النقد ووجهة النظر، فتجاهل الإسلام بعظمته وحضارته التاريخية – على أقل تقدير – فضلًا عن عقيدته وشريعته؛ لا لشيء سوى انحيازه الأيديولوجي للمسيحية والغرب، وكون الإسلام والمسلمين خير ممثلين للآخر الذي يعاديه من أجل المصلحة والمنفعة!

ويرى هيجل أن التاريخ يُظهر أنه يوجد في كل عصر من عصوره دولة مهيأة أن تتزعم سائر الدول، وتفرض عليها ما بلغت من تقدم في الحضارة، هذه الدولة واجبها الفتح، وانتصارها يبرر حروبها، والدولة الغالبة خير من الدولة المغلوبة، بدليل غلبتها نفسها التي يجب أن تعتبر "حكم الله"(١).

تلك هي رؤية هيجل للآخر، والتي أثرت تأثيرًا بالغًا في العقل الأوروبي بصورته الحديثة.

– شوبنهاور ١٧٨٨ – ١٨٦٠م:

صاحب الفلسفة التشاؤمية الشهير، والذي أثر بفكره تأثيرًا كبيرًا على المعتقد الأوروبي في الحياة عامة، وفي "**فلسفة الآخر**" خاصة.

فيرى "**لوكاش**" أنه مع شوبنهاور تبدأ الفلسفة الألمانية تلعب الدور الوخيم؛ الذي سيكون دورها: الملهمة الأيديولوجية للرجعية الأشد تأكيدًا(٢).

فيرى "**شوبنهاور**" أن التنوع في الطبيعة صادر عن الإرادة الكلية لحب البقاء، وهذا التنوع أصل تعارض الموجودات وتصارعها، يفترس البشر والعجماوات بعضهم بعضًا، ويفترسون جميعًا النبات، ويستهلك النبات الماء والهواء وغيرها من المواد، الحياة شر وكل ما نصادفه من خير فهو زائف، يعتقدون أنهم يختارون غاياتهم اختيارًا، وهم في الحقيقة مدفوعون من حيث لا

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، صـــ ٢٩٠.

(٢) شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، وفيق غريزي، مكتبة الفارابي، بيروت، ٢٠٠٦م، صـــ٢٧٢.

يشعرون[١].

إن شوبنهاور يريد أن يدلل على نظرته التشاؤمية، وعلى الشر الذي هو محور الحياة، بأدلة طبيعية وعقدية، فالإنسان والحيوان والنبات **(بالطبيعة)** كلهم مفترسون، فالإنسان والحيوان يفترس بعضهم بعضًا، حتى النبات الذي ليس ثمة اختيار، إلا أنه يفترس الماء والهواء والغذاء، فالافتراس هو سنة الطبيعة ودأب الحياة، بل إن الحياة كلها شر، وما الخير الذي نعتقد وجوده إلا مجرد اعتقاد خاطئ، فلا يوجد خير في الحياة مطلقًا... تلك هي طبيعة الحياة عند شوبنهاور، والأخطر من ذلك أن شوبنهاور ينفي الإرادة تمامًا، فالكائنات عنده **(بما فيها الإنسان)** مدفوعون إلى غاياتهم دون إرادتهم!

وتتجلى خطورة هذا المذهب التشاؤمي في رده التصرفات الحياتية إلى الطبيعة، ونفيه للإرادة، فكيف إذًا نحفظ حقوقًا للآخر؟! أو على أقل تقدير: كيف نعترف بوجوده؟!

إن شوبنهاور يعطي مبررًا طبيعيًا وعقديًا لانتهاك حقوق الآخر، أو حتى إبادته!

يقول شوبنهاور: الحياة شر لأنها حرب، فإننا نرى في كل مكان في الطبيعة الصراع والتنازع، وتعاقب النصر والهزيمة تعاقبًا انتحاريًا، فكل نوع يكافح في سبيل المادة والمكان والزمان المملوك لـــ "**الآخرين**"،... والجنس البشري يكشف بنفسه في وضوح عن هذا الصراع الرهيب الذي يقع نتيجة اختلاف الإرادة مع نفسها، وسوف نجد أن الرجل للرجل ذئب[٢].

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، صـــ ٢٩٠.

(٢) العالم كإرادة وتمثل، شوبنهاور، صـــ ١١٩، نقلًا عن: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، وفيق غريزي، صـــ ١٤٢.

فالصراع والتنازع من ممتلكات "**الآخر**" وفلسفة التذاؤب بين الذات والآخر، هي سمت وطبيعة الحياة عند شوبنهاور،... تلك هي فلسفة رجل من أشهر رجالات الفلسفة الحديثة، وأعمقهم أثرًا في الحياة الغربية،... ثم بعد ذلك نريد أن نتحدث عن وجود "**الآخر**" وحقوقه؟!

- فريدريك نيتشه ١٨٤٤ - ١٨٩٠م:

يُعد نيتشه من أكثر الفلاسفة الغربيين تأثيرًا على الواقع الأوروبي عامة، والواقع الألماني خاصة، وقد كان متدينًا في صغره أشد التدين بالمسيحية؛ لكونه سليل أسرة قساوسة، حتى لقب في صباه بالقس الصغير، ثم قرأ كثيرًا وتثقف حتى انقلب على تدينه وتركه بالكلية، وخرج علينا بمذهبه الشهير "مذهب القوة" حيث يرى أن البقاء للأقوى، وأن الضعفاء والمرضى لا بد من التخلص منهم لكونهم عالة على الحياة، وأن الدفع بالقوة تجاه الآخرين وفرض السيطرة والهيمنة عليهم لا بد وأن يكون منهجًا خالصًا للحياة.

يقول نيتشه تحت عنوان "الذين يريدون إصلاح البشرية": ما أطلبه من الفيلسوف أن يكون فوق وهم الحكم الاخلاقي... ليست الاخلاق إلا تفسيرًا خاطئًا لبعض الظواهر(١).

فليست الأخلاق إلا وهمًا وتفسيرًا خاطئًا لظواهر حياتنا، تلك هي نظرة نيتشه لأصل المعاملة مع "**الآخر**"، فليس ثمة معيار نرجع إليه في معاملاتنا وفي علاقاتنا مع الآخرين سوى معيار القوة والغلبة.

فنهض نيتشه بهذه المهمة وتصدى لإقامتها على أساس بيولوجي، وانتهى بهذا إلى التمكين لمبادئ القوة والكبرياء والأنانية، وأحلها محل الطبيعة وإنكار الذات، وقد أنكر وجود قيم مطلقة أو معايير ثابتة لا تتغير، ورفض القول

---

(١) أفول الأصنام، نيتشه، ترجمة: حسان بورقيبة، محمد الناجي، صـ ٥٧.

بإرجاعها إلى الله تعالى، كما أنكر ردها للعقل،.... ورأى أن مرد المعايير إلى الإنسان الذي يتغير بتغير ظروفه وأحواله،... وتختلف باختلاف الزمان والمكان، ومن ثم فهناك أخلاق للسادة وأخرى للعبيد(١).

فقد اشتهر نيتشه بتفرقته العنصرية بين قطاع من الناس أسماه "السادة" وآخر أسماه "العبيد" ليؤسس لطبقية بغيضة أرهقت الأمم والشعوب أزمنة متطاولة؛ ليخرج علينا نيتشه في العصر الحديث معتمدًا ومقررًا لهذا المبدأ الذي كادت الشعوب أن تنساه أصلًا!

إن نيتشه يحفز دائمًا على معاملة " **الآخر**" خاصة لو كان من طبقة المرضى أو الضعفاء أو العبيد، بالقهر والنبذ والاستعلاء، بل وبالمحو والإبادة، تلك هي طريقته في معاملة "الآخر"!

فهؤلاء الفلاسفة الذين تحدثت عنهم غيض من فيض من فلاسفة الغرب، ولقد آثرت الحديث عنهم لكونهم من أكثر فلاسفة الغرب تأثيرًا على مجتمعاتهم، فضلًا عن كونهم ملهمين للكثير من غيرهم من فلاسفة الغرب.

---

(١) فلسفة الأخلاق، د. توفيق الطويل، صـ ٢٥٤، وانظر: نيتشه، د. فؤاد زكريا، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة، ١٩٩٦م، صـ ٥٧، ونيتشه عدو المسيح، د. يسري إبراهيم، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، صـ ٢٠١.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا طاهرًا مباركًا فيه، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد؛؛؛

فهذه ورقات أقدمها بين يدي القارئ الكريم عن موضوع (هذه الدراسة) بذلت فيها قدر ما استطعت من جهد – بمنه تعالى وكرمه – وبعد الاطلاع على عشرات الكتب والمراجع مظان البحث في هذا الموضوع؛ خرج هذا البحث على هذه الصورة، سائلًا الله (ﷻ) له القبول والنفع للإسلام والمسلمين، كما أسأله تعالى أن يتجاوز عني فيما أخطأت، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهم نتائج البحث:

- انطلق الغرب من فكرة **(المركزية)** متجهًا نحو نبذ **(الآخر)** ومحوه من الخارطة الحضارية والثقافية، مما أوقعه في تناقضات فكرية تفرضها الأحداث التاريخية لحضارات الآخرين.
- اعتمد الغرب **(مركزيته)** المزعومة بناءً على إرثه اليوناني، وسلطته الدينية في العصور الوسطى، ونظريته الآثمة في **(العرقية)** حديثًا؛ ليبرر مطامعه في مقدرات وثروات **(الآخر)**، ولتطهير يده من الفظائع التي ارتكبها عبر تاريخه وحتى الآن.
- يهدف الغرب إلى إرساء وتدعيم **(مركزيته)** والسيطرة على **(الآخر)** من خلال:

١- محاولة تغريب **(الآخر)** بفرض الثقافة الغربية عليه طوعًا أو كرهًا،

وخلق إطار عام من التبعية له.

٢- نفي ونبذ حضارة **(الآخر)** وثقافته، واعتبارها كمًا مهملًا على هامش الحضارة الغربية، عن طريق طمسها وتشويهها؛ ليمتلك أسباب القوة والسيطرة والنفوذ، لتحقيق مطامعه ونهب موارد **(الآخر)**، واستنزاف ثرواته.

- تُعد **(الأنا)** الغربية جزءًا أساسيًا من التشكيل الجوهري لشخصية الغرب، تنفي بها **(الآخر)** وتستعلي عليه، وتُشعر الغرب دائمًا بـــ (الذاتية المتعاظمة).
- أبرز ما يميز **(الأنا الغربية):** حبها لذاتها، والتمسك بمطالبها ومطامعها، حتى لو كان ذلك هدرًا لمقدرات **(الآخر)** وسلبًا لممتلكاته وحقوقه.
- كان الغرب - ولا زال - يحاول - وبإصرار - تشويه صورة **(الآخر)** وخاصة **(الآخر المسلم)** حتى استقر في الوجدان الغربي أن المسلمين: ظلاميين، متخلفين، عدوانيين... الأمر الذي رسخ في نفوسهم الاحتقار والازدراء لكل ما هو **(عربي - إسلامي)**.
- يتمثل **(الخوف من الآخر)** في الفكر الغربي مبنيًا على أصلين:

١- الخوف من الآخر عمومًا بسبب ما اقترفته يد الغرب الآثمة تجاهه عبر التاريخ وحتى الآن.

٢- الخوف من الآخر **(المسلم)** بسبب إمكانية شيوع عقيدته وأخلاقه الحقيقية في الغرب نفسه، فما زالت هيستيريا الخوف من انتشار الإسلام تقلق الغرب وتؤرق مضجعه.

- للكثير من الفلاسفة الغربيين وآرائهم تأثيرًا بالغًا في تشكيل منظومة **(الأنا والآخر)** ودعم واستقرار منظومة **(المركزية الغربية)** واحتقار **(الآخر)**.

أهم التوصيات والمقترحات:

- إجراء الأبحاث التي تستهدف المعالجات لجميع الموضوعات المتعلقة بالعلاقات الفكرية بين الإسلام والغرب.
- إجراء الأبحاث والدراسات المختلفة حول الموضوعات المتعلقة بالغرب من كافة جوانبه: حضارته، ثقافته، آدابه، أخلاقه، تدينه، معاملاته،... إلخ.
- إجراء الأبحاث والدراسات المتعلقة بالمعتقدات والمبادئ الغربية تجاه الآخرين عمومًا، والمسلمين خصوصًا.
- العمل – وبجدية – من خلال المراكز والمؤسسات المختصة لإظهار الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين لدى الشعوب الغربية، بالتوازي مع العمل على توضيح كذب الصورة التي رسمها مفكرو الغرب ومستشرقوهم عبر قرون خلت، والتي تعتبر راسخة وثابتة في الوجدان الغربي إلى حدٍ بعيد.
- العمل – من خلال المختصين – على استهداف نشر الأبحاث والدراسات التي تبين سماحة الإسلام، وصحة عقيدته، وتوازن شريعته... إلخ، في شتى المجتمعات الغربية، وبلغاتها المختلفة.
- العمل على نشر الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين من خلال الأوعية الإعلامية المختلفة، المقروءة والمسموعة والمرئية، وخاصة القنوات الإسلامية التي تُبث عبر شبكة الإنترنت.

والحمد لله رب العالمين ،،،

المصادر والمراجع

- **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، د. سعد الدين صالح، الطبعة السابعة، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- **الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين**، د. حمدي عبد العال، دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- **الأديان العامة في العالم الحديث**، خوسيه كازانوفا، ترجمة: قسم اللغات الحية بجامعة البلمند، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- **أرنست رينان**، مجدي عبد الحافظ صالح، الطبعة الأولى، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٢٠م.
- **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، د. علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، المنصورة، مطر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **الاستشراق رسالة استعمار**، د. محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م.
- **الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم**، د. مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **استعباد النساء**، جون ستوات مل، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- **الإسلام في أربعة عشر قرنًا**، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨١م.

- **اتجاهات فلسفة الأخلاق**، د. يسري إبراهيم.
- **الإسلام في أمريكا**، د. حسان حتحوت وآخرون، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠٠٣م.
- **الإسلام في خندق**، د. مصطفى محمود، مكتبة مصر، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- **الإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء**، د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- **افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد**، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **أفول الأصنام**، فريدريك نيتشه، ترجمة: حسان بورقيبة، ممد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- **أوروبا والإسلام**، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣ م.
- **البراجماتية مذهب الذرائع**، يعقوب فام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- **بين مركزية الأنا الغربية وميلاد الأصوليات، نقد جارودي للذاتية الغربية**، نصر الدين سراي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٧٩م.
- **تاريخ الفلسفة الغربية**، برتراند رسل، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.
- **ترشيد الفكر الإسلامي**، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤م.

- **تصور الآخر، تمييز ممأسس وعنصرية ثقافية**، مسعود كمالي، ترجمة: طارق عسيلي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية**، د. محمد مهران رشوان، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.
- **التعددية الثقافية، مفهوم يجب إعادة بنائه**، ميشال فيفيوركا، ترجمة: عماد أيوب، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني**، تحقيق: د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م.
- **التفكير الفلسفي في الإسلام**، د. عبد الحليم محمود، مكتبة الإيمان، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- **الثقافة العربي والمرجعيات المستعارة**، د. عبد الله إبراهيم، دار الامان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- **جيفرسون**، تأليف: جون ديوي، ترجمة: د.عبد الحميد يونس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.
- **دراسات في فلسفة الأخلاق**، د. محمد عبد الستار نصار، دار العلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، توماس أرنولد، ترجمة: د.حسن إبراهيم وآخرون، ترجمة: د.عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.
- **دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين**، د.محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين**، الشيخ: محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٢م.

- **شوبنهاور وفلسفة التشاؤم**، وفيق غريزي، مكتبة الفارابي، بيروت، ٢٠٠٦م.
- **صورة الآخر الحضاري نقد الاستعلاء في المركزية** الغربية، د. عامر عبد زيد الوائلي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **صورة الإسلام عند هيجل، نقد الفصام الفلسفي**، د. محمد عثمان الخشت، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **الطبيعة البشرية، نقد الوهم البشري حيال الذات والآخر**، مارشال سالينز، ترجمة: رغد عسيران، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **عن الحرية**، جون ستيوارت مل، ترجمة: عبد الكريم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- **الغارة الجديدة على الإسلام**، د. محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- **الغير بين سارتر وبوحديبه**، د. محمد سيد عيد، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **الغيرية البتراء**، حيث لا يرى الغرب إلا نفسه، محمود حيدر، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر**، د. غيضان السيد علي، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة**، في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨م.
- **الفكر العربي ومكانه في التاريخ**، ديلاسي أوليري، ترجمة: د. حسان تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.
- **فلترقدي بسلام أيتها العلمنة**، رودني ستارك، ترجمة: رامي طوقان، فصلية

الاستغراب، عدد ٨.

- **فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها**، د.توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.
- **الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن**، د. محمد بن فتح الله بدران، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**، د. موريس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- **مباحث في فلسفة الأخلاق**، د. محمد يوسف موسى، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.
- **المجتمع المدني عند هويز وجون لوك**، د. فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
- **محاورات رينان الفلسفية**، أرنست رينان، ترجمة: علي أدهم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، القاهرة، ١٩٩٨م.
- **محاولة تعريف ما بعد العلمانية**، كرستينا شتوكل، ترجمة: طارق عسيلي، فصلية الاستغراب، عدد ٨.
- **المستشرقون والتراث**، د.عبد العظيم الديب، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **مصادر دراسة التاريخ الإسلامي**، جان سوفاجيه، كلود كاين، ترجمة: د.عبد الستار حلوجي، د.عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.
- **معالم تاريخ الإسلام المعاصر**، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٧م.
- **المعجم الفلسفي** بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واللاتينية،

د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

- **المعجم الفلسفي**، د. مراد وهبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١٦م.
- **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- **المعجم الوجيز**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- **معجم متن اللغة**، (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- **من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي**، د. محمد أحمد عبد القادر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- **موسوعة لالاند الفلسفية**، أندريه لا لاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت وباريس، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
- **نحن وحضارة الغرب**، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨١م.
- **نقد الحداثة في فكر نيتشه**، د. محمد الشيخ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- **نقد الغربية في الفكر الاستشراقي**، سمر الديوب، فصلية الاستغراب، بيروت، العدد العاشر، ٢٠١٨م.
- **نوابغ الفكر الغربي (نيتشه)**، د. فؤاد زكريا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
- **نيتشه عدو المسيح**، د. يسري إبراهيم، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- **نيتشه**، د. فؤاد زكريا، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة، ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	٢٣٥
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	٢٣٧
مقدمة	٢٣٩
أسباب اختيار الموضوع	٢٤١
منهجية البحث	٢٤١
محتويات البحث	٢٤٢
الفصل الأول: التمركز الغربي حول الذات، وتغريب "الآخر" ونفي وازدراء ثقافته	٢٤٥
• **المبحث الأول:** التمركز الغربي حول ذاته	٢٤٧
أسباب تمركز الغرب حول ذاته	٢٤٩
تأصيل ذاتية الغرب ومركزيته بـــ (التميز العرقي)	٢٥٢
داروين (١٨٨٢ – ١٨٠٩ م)	٢٥٤
رينان (١٨٢٣ – ١٨٩٢ م)	٢٥٦
• **المبحث الثاني:** تغريب "**الآخر**" ونفي وازدراء ثقافته	٢٦٣
الفصل الثاني: "الأنا الغربية" واحتقار "الآخر" وتشويهه والخوف منه	٢٧١
• **المبحث الأول:** "**الأنا**" الغربية، وعجرفة الاستعلاء	٢٧٣
استمرارية "**الأنا**" وأصالتها التاريخية	٢٧٣
حب "**الأنا**" والتمسك بمطالبها	٢٧٥

العجرفة الغربية في التعبير عن "**الأنا**" والإشارة لـــ "**الآخر**"	٢٧٧
• **المبحث الثاني:** الازدراء الغربي "**للآخر**"، وتشويهه – خاصـــة الآخر المسلم –	٢٧٩
حول الازدراء الغربي لـــ "**الآخر**"	٢٧٩
حول تشويه الغرب لصورة "**الآخر**"	٢٨٢
• **المبحث الثالث:** الخوف الغربي من "**الآخر**" – خاصـــة الآخـــر المسلم –	٢٨٧
الخوف الغربي من "**الآخر المسلم**"	٢٩١
• **المبحث الرابع:** مدى التأثير الفلسفي على الغرب فـــي تـــشكيل منظومة (**الأنا والآخر**)	٢٩٦
الخاتمة	٣٠٦
أهم نتائج البحث	٣٠٦
أهم التوصيات والمقترحات	٣٠٨
فهرس المصادر والمراجع	٣٠٩
فهرس الموضوعات	٣١٥